من روائع الأدب الأمريكي

11 قصة قصيرة
تُنشر لأول مرة

أشرف عليها وأعدّها للنشر
محمد حامد

مقدمة

بدأ الأدب الأمريكي بداية متواضعة، ثم مالبث أن أخذ مركزه بين الآداب الأولى في العالم. ومن خصائصه المميزة أنه يمجد المثل العليا، وصفات الاعتماد على النفس والاستقلالية، واحترام الإنسان، والتأكيد على الديمقراطية، وحب الطبيعة والخروج عن التقاليد الأدبية من أجل كل إبداع جديد. وتُعد الفكاهة عامَّة، والفكاهة الساخرة أيضًا من الخصائص المميزة لهذا الأدب. وقد شهد تطور الأدب الأمريكي عدة مراحل هي:

أدب المستعمرات (1608-1765م)

كتب المستعمرون الأمريكيون قصصًا لتسجيل أنشطتهم، وحياة المستعمرات في الأراضي الجديدة. وكذلك مواعظ لتعليم دروس أخلاقية، وأشعار دينية نصرانية، وأيضًا كتيبات لمناقشة بعض النقاط السياسية.

عصر الازدهار الأول (1765-1850م)

انحسرت خلال القرن الثامن عشر الميلادي الاهتمامات الدينية أمام الاهتمامات السياسية، فبعد أن أصدرت بريطانيا قانون الطابع عام 1765م انتشرت الاحتجاجات في أرجاء المستعمرات وكتبت ووزعت الكثير من الكتيبات الثورية ومنها أعمال ذات قيمة أدبية مهمة.

ظهرت أشكال أدبية جديدة بعد الثورة الأمريكية، فقد أشعل الاستقلال السياسي رغبة قوية للاستقلال في فن الأدب ولأول مرة انفصل أدباء أمريكا عن ماضيهم الأوروبي.

أصبح بنيامين فرانكلين المتحدث باسم المصالح الأمريكية في القرن الثامن عشر، وقد نقد السياسات البريطانية في كتيب بعنوان القوانين التي يمكن أن تحول إمبراطورية عظيمة إلى إمبراطورية صغيرة (1773م). كما قدم كتابات أخرى من الهجاء السياسي ولكنه لم يتقيد بالكتابة في السياسة فقط، وأنتج أدبًا بالغ التأثير وهو يؤدّي دوره كناشر ناجح وعالِم باحث وفيلسوف مفكّر. أكثر أعماله انتشارًا كتاب تقويم ريتشارد المسكين (1733-1758م) بفضل ما يزخر به من أمثال وحكم مازحة ذكية. وأهم عمل أدبي هو السيرة الذاتية التي لم يتمها والتي أصبحت مثالاً لكثير من القصص عن الارتفاع من الحضيض إلى الثراء.

أصبحت نيويورك في أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر الميلاديين مركزًا مشعًّا للإنتاج الأدبي. وانتقل أول أهم روائي أمريكي تشارلز بروكدن براون من فيلادلفيا بولاية بنسلفانيا إلى نيويورك، وكان أول أمريكي يجعل الأدب مهنته الرئيسية، وكتب أعماله على نسق قصص الرعب البريطانية المعروفة باسم الروايات واشتهر بقصة ويلاند (1798م) وقصة أدجار هنتلي (1799م).

ساهم ثلاثة أدباء آخرون مرتبطون بنيويورك مساهمة كبيرة في تطور الأدب الأمريكي: 1- واشنطن إيرفنج 2- جيمس فينيمور كوبر3- وليام كلن برايانت، وكانت أعمالهم أول أدب أمريكي يعترف به في أوروبا. أسعد إيرفنج قرَّاءه بالهجاء الذي كتبه بعنوان حكاية المهاجر الأمريكي عن نيويورك (1809م) وكان إيرفنج يعيد قص الحكايات الشعبية في أعماله التي لاقت قبولاً كبيرًا من القراء ونشرت في كتاب اسكتشات جيوفري كرايون، جنت (1819و1820م). كما أعجب إيرفنج بالشرق الإسلامي وكتب عن الثقافة العربية في الأندلس. وهو من مؤسسي القصة القصيرة.

كان كوبر يكتب قصص مغامرات عن الأماكن الجديدة

المتاخمة لنيويورك في عصره، وأشهر أعماله قصص تخزين الجلود وهي سلسلة من خمس روايات. تبدو شخصيات كوبر أحيانًا غير حقيقية وكثيرًا ما يبدو أسلوبه مبهجًا أكثر من اللازم، ولكنه اخترع أول بطل أمريكي من مكتشفي الحدود ناتي بامبو، وتصور رواياته مثل: البراري (1827م) الرجل الأمريكي وهو يطوع الأراضي القفراء.

عمل برايانت كرئيس تحرير وصاحب ومؤلف جريدة نيويورك إيفننغ بوست على مدى خمسين عامًا. كتب في شبابه قصيدته الشهيرة عن الموت (1811م) كما كتب عن الطبيعة مثل الشاعر الإنجليزي وردزورث.

أصبحت مشكلة العبيد خلال الثلاثينيات من القرن التاسع عشر الميلادي قضية ساخنة في الولايات المتحدة. ونشر المنادون بتحرير العبيد مقالات وروايات وكتيبات وقصائد لتحريك الرأي العام. قاد وليم لويد جارسون وهو صحفي من بوسطن حملته المعارضة لنظام العبيد على صفحات جريدته رجل التحرير.

اشتهرت هاريت بيتشر ستو كأكثر المنادين بتحرير العبيد تأثيرًا. فقد بيعت ملايين من النسخ من روايتها المثيرة للحماس والعواطف كوخ العم توم (1852-1851م) التي ساعدت على اشتعال الحرب الأهلية عام 1861م، وما زالت تقرأ حتى الآن.

الأدب الأمريكي يبلغ مرحلة النضوج (1900-1850م)

ظهر جيل جديد من أدباء أمريكا حوالي منتصف القرن التاسع عشر الميلادي. لم يتّجه هؤلاء الأدباء إلى إنجلترا بحثًا عن الإلهام، بل كتبوا عن وطنهم وقومهم وقاموا بالتجريب في الأشكال الأدبية وقدموا مواضيع وأفكارًا جديدة، وخلقوا أدبًا قوميًا حاز على الإعجاب والاحترام في مختلف أرجاء العالم.

المتعالون

كان المتعالون مجموعة من كتاب نيوإنجلاند تؤكد على أن

بصيرة الإنسان بفطرته وحواسه تسمو على المعرفة التي تأتي عن طريق المنطق أو الاستنتاجات.

أصبح رالف والدو إمرسون المتحدث باسم أنصار الفلسفة المتعالية في مقالاته مثل الاعتماد على النفس (1841م) الذات العليا (1841م). كما كتب أيضًا عددًا من القصائد الفلسفية. أما هنري ديفيد ثورو صديق إمرسون فقد طبق نظريات الفلسفة المتعالية فعاش عامين حياة بسيطة في والدن بوند بولاية ماساشوسيتس وسجل تجربته في أفضل أعماله والدن، وهذا الكتاب يغوص في عمق الطبيعة ومكامن النفس البشرية ومعنى الحياة. نشر المتعالون مجلة دايل (1844-1840م) وتضم الجماعة التي ساهمت في هذه المجلة جورج ربلي، مارجريت فولر، وآموس برونسون ألكوت، والد لويزا ماي ألكوت مؤلفة رواية نساء صغيرات (1869-1868م) التي اعتمد مضمونها على حياتها الخاصة.

<u>برهميو بوسطن</u>

ينتمي بعض أشهر أدباء القرن التاسع عشر الميلادي إلى الطبقة العليا من مجتمع نيو إنجلاند وأصبحوا معروفين باسم (برهميو بوسطن)، وتأتي هذه التسمية من اسم أعلى طائفة في الديانة الهندوسية. وأبرز أدباء هذه المجموعة هم هنري ودزورث لونجفلو، وجيمس رسل لوويل، وأوليفر وندل هولمز.

كان لونجفلو من أكثر الشعراء تأثيرًا في عصره وما زال الناس يحبون القصص الشعبية التي وضعها في قوالب شعرية مثل: إيفانجلين (1847م). ويعتبر كثير من النقاد قصيدته الكوميديا الإلهية وكذلك مؤلفاته من السونيتات أفضل أعماله.

اشتهر لوويل بالسخرية والنقد السياسي في مذكرات بيجلو (1848م) ورؤيا السير لونفال (1848م). كما نشر قبل الحرب الأهلية الأمريكية عددًا من القصائد المناهضة لنظام الرق. وبعد

ذلك كتب قصيدة غنائية في ذكرى الشهداء (1865م) تمجيدًا لشهداء الحرب، وأظهر لوويل موهبته كناقد أدبي في حكاية النقاد (1848م) وهي قصيدة هجاء ساخرة. كان هولمز طبيبًا، وزعيمًا لمجموعة البرهميين في بوسطن، وقد عبر عن تصوره للطبقة العليا في سلسلة مقالات مرحة بعنوان الحاكم المطلق لمائدة الإفطار (1858م). ومن أشعاره قصيدة هجاء ساخر عن موضوع الكلفينية.

الأدباء المستقلون

لم ينتمِ عدد من أدباء أمريكا البارزين إلى أية جماعة أو حركة ويمكن فهم أعمالهم في إطار عبقريتهم الخاصة فقط. اشتهر إدجار ألان بو كشاعر وكاتب للقصة القصيرة، وناقد أدبي. كان يكتب شعرًا يسوده جو من الحزن والرعب ويتميز بالحرص التام على اتباع الوزن والإيقاع الشعري. وقد كتب قصائده مثل: الغراب الأسحم (1845م) و آنابل لي (1849م) انطلاقًا من نظريته أن أفضل موضوع للشعر هو مأساة وفاة سيدة جميلة. ركز بو في قصصه على حبكة الرواية واستخدام جو الغموض والإثارة. أصبحت قصة جرائم في شارع المشرحة (1841م) وقصة الخطاب المسروق (1845م) مثالاً يُحتذى في كتابة القصص البوليسية، كما تركت نظريات بو النقدية أثرًا كبيرًا على كتّاب القصة القصيرة وأشكال الأدب الأخرى.

أدى ناثانيل هووثورن، مثل بو، دورًا رائدًا في تطوّر القصة القصيرة كشكل أدبي هام، وأعماله تؤكد على الشخصيات ومغزى القصة. حاول هووثورن استكشاف طبيعة الشر في قصصه مثل قصة قناع الوزير الأسود (1836م) وأفضل أعماله الحرف القرمزي (1850م) وهي رواية تصوّر الآثار المأساوية للخطيئة تصويرًا دراميًا.

استمد هرمان ملفيل مادة رواياته من حياة البحر التي عاشها

في صباه؛ وكانت أولى رواياته تايبي (1846م). أما أفضل أعماله فهي موبي ديك (1851م)، حيث إنها ذات قيمة أدبية كبيرة كقصة مغامرات ودراسة رمزية لقوى الخير والشر.

تخصص بعض الأدباء في كتابة حكايات طويلة مفعمة بالفكاهة لها طابع المبالغة عن أبطال وأحداث. وعُرِفَ هؤلاء الأدباء بكتَّاب الأدب الكوميدي، وقد أرست أعمالهم أساسًا للحركة الواقعية التي سيطرت على الأدب الأمريكي خلال القرن العشرين.

يعتبر مارك توين أحد أشهر أدباء أمريكا. جمع في كتاباته بين روح الفكاهة والدعابة، واللون أو الصبغة المحلية النابضة بالحياة، وعبقريته الخاصة لإبداع بعض أكثر القصص المحببة على مدار السنين. أهم أعمال مارك توين هي مغامرات توم سوير (1876م) و مغامرات هَكْلبري فِن (1884م)، وتقع أحداث هاتين الروايتين على نهر المسيسيبي. إن هَكْلبري فِنْ أكثر جدية من الرواية الأخرى وهي تتناول بالنقد الزيف وعدم الإنسانية التي تنطوي عليها القيم والعادات التي سادت المجتمع الأمريكي آنذاك.

شرع الأمريكيون في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، على ما يبدو، في إعادة اكتشاف أوروبا والشرق الإسلامي. واتجه السياح الأمريكيون إلى تلك البقاع في رحلات كبيرة، وقد تناولهم مارك توين بالسخرية في روايته السذج خارج الوطن (1869م). قام السياح في رواية مارك توين بمغامرات فرحة مبهجة تركتهم دون انطباع بالعادات والأخلاق الأوروبية. اشتهر بعض الكتاب الآخرين بكتيبات للأمريكيين السياح المسافرين خارج الوطن.

طور هنري جيمس فكرة عالمية المضمون في روايته صورة سيدة (1881-1880م) والسفراء (1903م). أبطال هاتين الروايتين أمريكيون يعيشون في أوروبا. كان جيمس يختبر الثقافة الأمريكية والشخصية الأمريكية بدراسته لرد فعل شخصيات رواياته للأجواء الجديدة المحيطة بهم. وُلد جيمس بالولايات المتحدة

ولكنه عاش معظم حياته في أوروبا وقد كان لنظرياته عن الرواية والقصة أكبر الأثر على الروائيين الأوروبيين والأمريكيين.

من عام 1900 حتى 1950م

تأثر الأدب الأمريكي بثلاثة تطورات في الفترة ما بين 1900 و 1941م حين دخلت الأمة الحرب العالمية الثانية: 1- وصلت الثورة الصناعية إلى قمتها في الولايات المتحدة في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي. انظر: الثورة الصناعية. بدأ كتاب القرن العشرين ينظرون نظرة واقعية إلى المشاكل الاجتماعية الملحة التي نتجت عن الثورة الصناعية. 2- كانت الحرب العالمية الأولى والانهيار الاقتصادي في الثلاثينيات من القرن العشرين سببًا في نقد الكثير من الأدباء للحياة الأمريكية. 3- فتحت أبحاث ودراسات سيجموند فرويد في النمسا في التحليل النفسي مجالات جديدة في مكامن النفس البشرية يمكن للأدباء محاولة اكتشافها.

أدباء المدرستين الواقعية والطبيعية

مهد ستيفن كرين وفرانك نوريس وهارولد فريدريك وثيودور درايزر الطريق لمؤلفات فعالة وغزيرة من أدب المدرستين الواقعية والطبيعية. درس كرين ردود فعل الحرب على جندي شارك في الحرب الأهلية الأمريكية في روايته وسام الشجاعة الأحمر (1895م). وركز نوريس على صراعات أصحاب مزارع القمح في كاليفورنيا في روايته الأخطبوط (1901م)، وصور فريدريك عام 1896م الصراعات الدينية لشاب من رجال الكنيسة، أما درايزر فقد صدم الكثير من القراء بصراحته الشديدة في رواية الأخت كاري (1900م)، وتتناول روايته الشهيرة مأساة أمريكية (1925م) قضية جريمة حقيقية.

قدم كثير من الأدباء قصصًا كثيرًا ما اتسمت بالقوة والقسوة، وما زال القراء يرتجفون من مغامرات الكلب بك بطل رواية جاك لندن نداء البرية (1903م). وصور جيمس تي فاريل في كتاباته حياة

الطبقة العاملة في جنوب شيكاغو بولاية إلينوي. كما رسم نلسون ألجرين الصراعات اليومية لطوائف الأقليات من الطبقة العاملة في شيكاغو في روايته المهمة الرجل ذو الذراع الذهبية (1949م). تخصص جون أوهارا في الوصف الواقعي لحياة الطبقة المتوسطة العليا في رواياته مثل موعد في سامارا.

أدباء النقد الاجتماعي

استخدم بعض الكتاب المنهج الواقعي أو منهج المدرسة الطبيعية في الأدب لتعرية الفساد في المجتمع بهدف الوصول إلى الإصلاح. هاجمت جماعة من الصحفيين والروائيين مثل: لنكولن ستيفنس، إيدا تاربل، وأبتون سنكلير انعدام الشرف في السياسة والتجارة وقطاع الأعمال الأمريكي في أوائل القرن العشرين الميلادي. وقد ساعدت رواية سنكلير الدغل (1906م) في صدور القوانين الفيدرالية الخاصة للغذاء النقي في الولايات المتحدة حيث تصف الظروف غير الصحية التي كانت سائدة في صناعة تعبئة اللحوم في شيكاغو.

تعرضت جوانب كثيرة في الحياة الأمريكية للنقد الأدبي بعد نهاية الحرب العالمية الأولى عام 1918م. شن هـ. ل منكن هجومًا عنيفًا على ضيق أفق الذوق الأمريكي والثقافة الأمريكية في سلسلة مقالاته المسماة اتجاهات منحازة (1919- 1927م). ونقد شيروود أندرسون الحياة من وجهة نظر سيكولوجية في مدينة صغيرة في مجموعة قصصه واينز برج، أوهايو (1919م). أما سنكلير لويس فقد هاجم في روايته الشارع الرئيسي (1920م) صفات الزيف والنفاق والعناء التي اتسمت بها حياة سكان مدينة صغيرة في الغرب الأوسط في أمريكا. وكان لويس أول أمريكي يحصل على جائزة نوبل عام 1930م.

ازداد النقد الاجتماعي خلال فترة الكساد العظيم في أربعينيات القرن العشرين. درس توماس وولف الأخلاقيات والقيم الأمريكية

في رواياته الشعرية الأربع التي تبدأ برواية انظري إلى البيت يا ملاكي (1929م) وهي جميعها مستوحاة من حياته الشخصية. تناول جون داس باسوس الطبقات الاجتماعية في الولايات المتحدة بالنقد في ثلاثيته الولايات المتحدة (1936-1930م). وتعتبر رواية جون شتاينبك عناقيد الغضب (1939م) من أقوى روايات الاحتجاج الاجتماعي في الأدب الأمريكي، فهو يصف معاناة مهاجرين من فلاحي أوكلاهوما إلى كاليفورنيا خلال فترة الكساد الاقتصادي والبطالة.

بدأ أدب الزنوج في الازدهار خلال عشرينيات القرن العشرين في هارلم، وهي منطقة في مدينة نيويورك جمعت عددًا من الأدباء الزنوج الذين بدأوا لأول مرة في دراسة واكتشاف ثقافة الزنوج الأمريكية، وقد برز في هذا المجال عدد من الأدباء مثل جين تومر، وكاونتي كولن، وكلود مكاي ولانجستون هيوز الذي يعتبر أكثر كتاب مجموعة هارلم شهرة. وقد كتب الشعر والقصة القصيرة، واسكتشات تتسم بالفكاهة اللاذعة عن حياة الزنوج.

إرنست همنجواي

عرفت الأديبة جيرترود شتاين الحركة الأدبية الجديدة حين قالت لإرنست همنجواي ,إنكم جميعًا جيل ضائع·، وكانت شتاين تعني العديد من أدباء أمريكا من الشباب القلق الذي تجمع في باريس بعد الحرب العالمية الأولى.

كتب همنجواي عن هذا الجيل الضائع في روايته الأولى وتشرق الشمس من جديد (1926م) حيث يجول أمريكيون بلا جذور في أحياء فرنسا وأسبانيا في محاولة يائسة للبحث عن التسلية وعقيدة يؤمنون بها، وروايته التالية وداعًا للسلاح (1929م) وهي قصة حب مأساوية تقع أحداثها في إيطاليا أثناء الحرب العالمية الأولى. وبفضل هاتين الروايتين اكتسب همنجواي مكانته كأحد أشهر أدباء القرن العشرين، وأصبح أسلوبه البسيط السلس

نموذجًا يحتذي به الكثير من الأدباء الشبان. اكتسب همنجواي معجبين جددًا بفضل أعماله الأخيرة لمن تقرع الأجراس (1940م) العجوز والبحر (1952م).

كان سكوت فيتزجيرالد أحد أهم أعضاء الجيل الضائع وترجع شهرته إلى رواية هذا الجانب من الجنة (1920م) التي صور فيها جيل الفتيات والشبان المتمردين في عصر موسيقى الجاز بعد الحرب العالمية الأولى. ويعتبر النقاد روايته جاتسبي العظيم (1925م) أفضل أعماله وهي تحكي عن رجل ذي مبادئ يتحطم تدريجيًا من جراء تأثّره بالأغنياء الذين يعيشون حوله.

وليم فوكنر

يمكن اعتبار وليم فوكنر أشهر روائي في هذه الحقبة. تجري أحداث معظم قصصه في جنوب الولايات المتحدة الذي أسماه (يوكنباتاوفا). استخدم فوكنر في روايته الصوت والغضب (1929م) تقنية تيار الوعي وكان يصف بالتفصيل تدفق الأفكار في عقول شخصياته. يبدو أن قصص فوكنر غير المألوفة، وأسلوبه المعقد لفتت نظر القراء إليها.

أصحاب اتجاه الإقليمية في الأدب

استخدم ممثلو اتجاه الإقليمية في الأدب أماكن جغرافية معينة كخلفية لأعمالهم، ولجأ كثير منهم إلى الأسلوب الواقعي أو أسلوب المدرسة الطبيعية لابتكار صور حقيقية للحياة.

ومن أشهر هؤلاء روبرت بن وارن ومارجوري كينان رولنجز وويلا كاثر وأول رولفاج وبيرل بك ومارجريت ميتشل التي تُرجمت روايتها ذهب مع الريح (1936م) إلى لغات متعددة، ووليم سارويان.

كتّاب القصة القصيرة

اكتسبت القصة القصيرة أهمية خاصة خلال القرن العشرين وقد اهتم بكتابة القصة القصيرة كثير من كتاب الرواية مثل همنجواي، وفوكنر. كان أو. هنري وهو الاسم الأدبي المستعار

لوليم سيدني بورتر هو أكثر الأدباء صلة بالقصة القصيرة في تلك الحقبة، وكان يستخدم نهايات مفاجئة بنجاح كبير لدرجة أن هذه الطريقة أصبحت معروفة باسمه. وقد استمتع ملايين القراء بقصص أو. هنري مثل الغرفة المفروشة (1904م) و هدية ماجي (1905م).

كتبت كاثرين آن بورتر قصصًا منظمة بعناية فائقة تتميز بأحاسيس مرهفة. تتناول معظم قصصها شابات وفتيات في سن المراهقة وقد نشرت مجموعات أشهر قصصها بعنوان انتعاش يهوذا (1930م) و حصان شاحب، فارس شاحب (1939م). كتبت بورتر رواية واحدة فقط هي سفينة الحمقى (1962م).

جذبت القصص والمقالات والقصائد الفكاهية جمهورًا عريضًا. أثار رنغ لاردنر ودامون رنيون ضحك القُرَّاء باستخدامهم اللغة العامية واللهجات في قصصهم واسكتشاتهم. كتب روبرت بنشلي، وألكسندر وولكت، و إي. بي. وايت حكايات ومقالات هزلية، كما أفزعت دوروثي باركر بعض القراء بقصائدها التي اتسمت بالسخرية والذكاء والفكاهة.

من أشهر كتاب أدب الفكاهة جيمس ثيربر وأوجدن ناش، وكثيرًا ما كان ثيربر يقوم برسم صغير ضاحك ينشر مع قصصه، أما ناش فكان يسلي القراء بكلمات مصحفة، وتورية غريبة وإيقاع غير متوقع في شعره

<u>من عام 1950م وما بعده</u>

وضعت الحرب العالمية الثانية (1939-1945م) حاجزًا كبيرًا بين القديم والحديث في المجتمع الأمريكي وفي أدب الأمة الأمريكية. فبعد الحرب ونتيجة للانفجار السكاني ظهرت مدن مزدحمة جدًا، وضواحٍ كبيرة وطرق مزدحمة وطرق سريعة، وشعر الكثير من الناس أن هذه الظروف المزدحمة تسبّبت في وجود تماثل في الأوضاع وكآبة في الحياة الأمريكية. كما تطلب الازدياد في السكان على مر

السنين تقديم منتجات صناعية أكثر، مما أدى إلى استهلاك أكبر للمصادر الطبيعية وارتفاع نسبة تلوث البيئة. وفي الخارج شاركت الولايات المتحدة، في حروب باهظة التكلفة في كوريا وفيتنام، أما في الداخل فكانت تقارير الأنباء تذيع أحداث جرائم القتل، والتوترات العنصرية وأحداث الشغب وارتفاع نسبة الجريمة.

وجه كثير من أدباء أمريكا النقد بغضب لما اعتبروه عدم عدالة اجتماعية في الولايات المتحدة، وكتب آخرون عن شعورهم باليأس، وتساءلوا عن إمكانية استمرار الإنسانية رغم الدمار والعنف اللذين يبدوان كجزء طبيعي من سمات العصر، واعتقد بعض الأدباء أن هناك حاجة لطرق جديدة للتعبير الأدبي لتناول الحياة الحديثة بصورة مناسبة. وهؤلاء الكتاب انضموا إلى حركات حديثة في أدب الرواية والمسرحية والشعر.

روايات الحرب العالمية الثانية

كانت باكورة الروايات التي جذبت انتباه القراء بعد الحرب العالمية الثانية روايات عن الحرب نفسها. كتب إروين شُو رواية الأسود الصغيرة عن ثلاثة جنود يتقابلون في ساحة المعركة. وكتب نورمان ميلر روايته العُراة والموتى (1948م). وهي تصوير واقعي للجنود الأمريكيين المحاربين في المحيط الهادئ؛ كما تناول الكاتب هرمان يوك الصراع بين الضباط على إحدى سفن أسطول الولايات المتحدة. وقدم جيمس جونز في روايته من هنا إلى الخلود (1951م) حياة جيش الولايات المتحدة في هاواي قبل هجوم اليابان على بيرل هاربر.

إقليمية ما بعد الحرب.

اعتمد بعض الكتاب على خلفيتهم الإقليمية في رواياتهم. استخدم رايت موريس ذكرياته عن نبراسكا في بعض رواياته مثل أغنية السهول (1980م) وتقع أحداث معظم قصص جون شيفر في نيوإنجلاند مسقط رأسه، كما تصور خلفية ثلاثية جون أبدايك

إقليمية بنسلفانيا. أما لاري مكمرتري فقد وصف في رواياته مرحلة مراهقته في مدينة صغيرة في تكساس.

استخدم ج. د. سالينجر مدينة نيويورك كخلفية في كتاباته، وقد كتب أشهر رواية في الخمسينيات حصاد الهشيم (1951م) عن مشاكل شاب صغير نشأ في مدينة نيويورك.

أدباء الجنوب. تناولت كثير من الروايات الأمريكية بعد الحرب العالمية الثانية المشردين في الأحياء الفقيرة. وكتب الكثيرون بتعاطف عن الشخصيات الغريبة والشاذة. ظهرت هذه العناصر خاصة في أعمال أدباء الجنوب الذين اتبعوا تقاليد وليم فوكنر. فعلى سبيل المثال نجد في كتابات مكالرز كارسون حكايات حزينة مرعبة عن شخصيات غريبة في رواياتها مثل انعكاسات على عين ذهبية (1941م) وساعة بدون عقارب (1961م).

شكلت الحياة في مدينة صغيرة في الجنوب خلفية عدة روايات ليوُدورا ولتي مثل: زفاف الدلتا (1946م)، وابنة المتفائل (1972م). وبدأ ترومان كابوت نشاطه الأدبي برواية متميّزة تقوم على أرضية جنوبية بعنوان أصوات أخرى، غرف أخرى (1948م). كما وصفت فلانري أوكونور المشاعر الدينية للفلاحين في الجنوب في روايتها الدم العاقل (1952م). كتب هاربر لي رواية عن العنصرية في مدينة صغيرة في ألاباما، أما رينولدز برايس فتقع خلفية رواياته في كارولينا الشمالية.

<u>الأدباء الزنوج</u>

أصبح الأدباء الزنوج، الروائيون والمسرحيون والشعراء، عنصرًا حيويًا في الأدب الأمريكي خلال الخمسينيات من القرن العشرين. كتب الأدباء الزنوج عن تجاربهم في الحياة الأمريكية. اختار الكثير من النقاد رواية رالف أليسون الرجل الخفي (1952م) كأحسن رواية عن حياة الزنوج في الولايات المتحدة في حقبة مابعد الحرب.

استخدم جيمس بولدوين . وهو من الأدباء الزنوج البارزين . هارلم في الثلاثينيات كخلفية لروايته التي تحكي سيرته الذاتية. ومزج إشمايل ريد الخيال والحقيقة لتقديم الحياة الأمريكية للزنوج في روايته رحلة بالطائرة إلى كندا (1975م)، وقدمت الأديبة توني موريسون، الحائزة على جائزة نوبل للأدب لعام 1993م، ح ياة الزنوج الأمريكيين من منظور نسائي يمزج الحقيقة والفن الشعبي للزنوج في رواياتها مثل: أغنية سليمان (1977م). أما أليس ووكر فقد تناولت العلاقات بين النساء والرجال الزنوج وبين بعضهن بعضًا في روايتها اللون الأرجواني (1982م).

قدم بعض الكتاب الزنوج حياة الزنوج في أمريكا في أشكال أخرى غير الرواية كالتراجم الذاتية أمثال إلدريدج كليفر، مالكوم إكس، كلود براون، جيمس بولدوين، مايا أنجيلو، وأليكس هيلي، كاتب الجذور (1976م) الذي تتبع فيها حياة عائلته من إفريقيا حتى الولايات المتحدة على مدى قرنين من الزمان.

في مجال الدراما اكتسبت كتابات الأدباء الزنوج أمثال إد بولينز، لون إلدر، وأوجست ويلسون قبولاً واسعًا لدى القراء بعد الحرب العالمية الثانية، وكذلك أميري بركة مؤلف مسرحية سفينة العبيد (1969م) التي تتناول نقل العبيد السود.

طرق شعراء أمريكا الزنوج مجالاً واسعًا من الموضوعات أمثال نيكي جيوفاني التي اشتهرت في السبعينيات بديوانها بيتي (1972م) الذي تصف فيه مشاعرها لكونها زنجية.

روايات غير قصصية

يستخدم كاتب الرواية غير القصصية تقنية القصة بأسلوب وثائقي للكتابة عن أحداث وأناس حقيقيين. ربما كان ترومان كابوت أول من استخدم هذا التعبير، وقدم أشهر مثل على هذا النموذج في روايته مع سبق الإصرار (1966م) التي تتناول جريمة حدثت عام 1959م لعائلة في كنساس. قدم وليم ستايرون في رواية

اعترافات نات ترنر (1967م) وصفًا لثورة العبيد في فرجينيا عام 1831م. أما جون هرسي فوصف مقتل عدة زنوج أثناء أعمال الشغب في دترويت بولاية ميتشجان، كما قدم نورمان ميلر في روايته أغنية الجلاد (1979م) دراسة عن حياة قاتل وإعدامه.

أدب المرأة

وصفت ماري مكارثي المهن والحياة الشخصية لعدة نساء شابات في روايتها الجماعة (1963م)، أما سوزان سونتاج فكتبت الرواية والمقال. أما أشهر أديبات أمريكا في الستينيات فهي جويس كارول أوتس التي كتبت العديد من الروايات والقصص القصيرة وتناولت إحدى رواياتها هم (1969م) الحياة العنيفة لامرأة وابنها وابنتها.

ركّزت آن تايلر على طبيعة الحياة العائلية من خلال وصف لشخصيات غريبة الأطوار في رواياتها مثل دروس في التنفس (1987م) كما اشتهرت مجموعات جين آن فيليبس القصصية التي تتضمن قصتها القصيرة التذاكر السوداء (1979م).

الفكاهة السوداء

شهدت الرواية الأمريكية خلال الستينيات تطورًا جديدًا، فقد مزجت الكوميديا والموضوع الجاد وأدخل الأدباء عناصر فكاهة وبهجة في رواياتهم وقصصهم التي تعالج موضوعات عنيفة أو مؤلمة تدعو للاكتئاب.

ساعد فلاديمير نابوكوف في تشكيل أسلوب الفكاهة السوداء. ففي رواياته مثل: النار الخافتة (1962م) ابتكر مزيجًا من الكوميديا والخيال والهجاء. ومن أدباء هذا الاتجاه أيضًا جوزيف هلر الذي صور الطيارين والعبث في المؤسسات العسكرية أثناء الحرب العالمية الثانية.

لعل من أشهر كتَّاب الفكاهة السوداء كيرت فونيجت الابن الذي صور الجنون في المجتمع في كتاباته التي تشمل مهد القط

(1963م) حيث مزج الفكاهة والمأساة.

استخدم جون بارث الرمز الساخر لوصف عناصر الرعب في الحياة الحديثة. وقدم كن كِسي مستشفى أمراض عقلية كرمز للحياة الحديثة في رواية طائر فوق عش الوقواق. وكتب دونالد بارثلمي، وجيرزي كوسينسكي حكايات الجن لوصف جنون المجتمع الحديث من خلالها. كما أحرز بول ثيروكس شهرته لتسجيله الدقيق لحماقات الإنسان ونقده البارع لها في رواياته مثل ساحل الناموس (1982م).

حرب فيتنام

أصبحت حرب فيتنام موضوعًا لعدة روايات في سبعينيات وثمانينيات القرن العشرين. كتب تيم أوبراين رواية سريالية عام 1976م حكى فيها عن عزم أحد الجنود الهرب من الحرب. وقدم جون م. ديل فيشيو في الوادي الثالث عشر (1982م) قصة حقيقية رصينة عن الصراع والوهم وخيبة الأمل في حرب فيتنام. كما تناول بوبي آن ماسون حياة فتاة قُتِل والدها في حرب فيتنام قبل أن تولد. أما لاري هاينمان فيستكشف حياة جريح من محاربي فيتنام في قصة باكو (1987م).

مع بداية الألفية الميلادية الثالثة يرى كثير من المتعلمين الأمريكيين ضرورة توسيع مفهوم الأدب الأمريكي. فهم يرون أن الدراسات النقدية التي أجريت على الأدب الأمريكي اهتمت، بالدرجة الأولى، بأعمال الأدباء البيض الذكور. وينكب الآن النقاد والمهتمون على دراسة الأدب الزنجي وغيره من آداب الأقليات الأخرى بالإضافة إلى أعمال النساء. وهناك، أيضاً، اهتمام متزايد بأشكال الأدب غير التقليدية مثل الصحف والأعمال غير المنشورة.

محمد حامد

قيصر
بول بورك

بدأت المسألة بمعطف مطر...

وإذ خرج (قيصر سمث) في مساء يوم من أيام السبت المعهودة من جمعية رماية القرص التي يترأسها وسار على قدميه برغم المطر المدرار شاقا طريقه إلى منزله، رأى في تسياره الآنسة (شيلا) منزوية في مدخل لأحد المنازل غير حاملة مظلة ولا متدثرة بمعطف، وكانت تعمل جهدها للمحافظة على ثوبها الجديد من الماء الذي يتدفق منحدرا من سطح المنزل...

وإلى اليوم لم يدرك قيصر، وهو الرجل الخجول، كيف تسنى له أن يبدأ بحديث مع سيدة غريبة عنه، ولكن لعل فوزه في رماية القرص عصر ذلك اليوم أحيا فيه النشوة. والخلاصة أنه خلع معطفه وقدمه إلى تلك الآنسة، وارتبك في القول

- (أنت هنا عرضة للتبلل بالماء. . . ارتدى هذا المعطف)

ودهشت الآنسة من قوله ونظرت إليه في عجب وقالت:

- (ولكن كيف لي أن أقبل منك ذلك؟... وأنت؟) ولحظ قيصر أن لها عيونا ناعسة ساحرة، ولم يكن تبينها من قبل وقال لها:

- (لم يبق لي أن أسير طويلا، فنهاية سيري عند منعطف الشارع)

وكان ذلك منه اختلاقا، وترددت الآنسة بادئ ذي بدء، وكان من الواضح أن حرصها على ثوبها الجديد جعلها تتقبل في النهاية تلك التضحية. وأجابت

- (حقا إن ذلك لعطف منك عظيم. لقد انهالت الأمطار فجأة ويلوح لي أنها لن تحتبس قريبا. إنني مدينة لك بالشكر)

فأجابها قيصر وفي نبرات صوته شجاعة الكرام

- (إنه أمر لا يستحق أن ينوه به)
وكان قد اعتزم المسير، فسألته الآنسة:
- (ولكن إلى أي مكان أرده؟)
فقال: (اسمي قيصر سمث)
وسرعان ما حدقت فيه الآنسة وقالت:
- (ما أروعه اسما! قيصر؟)
وأجاب في تواضع القنوع: (أي، ولماذا؟)
ثم فاه بكلام كبير المغزى إذ قال:
- (لا تكلفي نفسك مشقة إرجاع المعطف)
ثم سكت برهة وقال:
- (سأحضر بنفسي لآخذه)
فترددت الآنسة لحظة ثم قالت:
- (حسنا. إني أدعى شيلا هيرست وأسكن في شارع مونرو رقم 114)

وأسرع في ارتشاف ابتسامتها العذبة واستمر يتابعها بنظراته حتى أدركه جارف من الماء انساق إليه من حافة قبعته، فذكره بأن الوقت قد حان ليرجع إلى المنزل

وفي المساء التالي ذهب ليسترجع معطفه؛ فتعرف إلى المستر هيرست وزوجته، وقد استبقياه لتناول الشاي. وفي خلال ذلك تعرف إلى (المستر راند) الذي كانت له حظوة عند كل فرد من عائلة هيرست. وتراءى لقيصر أن تلك الحظوة وذلك العطف فيهما الكثير من المبالغة التي لا مبرر لها. وكان للمستر راند سيارة اتفق المجتمعون على أن يستقلوها إلى الشاطئ. وهنالك لم يجد قيصر من يتحدث إليه غير المستر هيرست، إذ أن راند كان يسير في صحبة (شيلا) على بضع خطوات خلفهما. ثم دعوا قيصر إلى العشاء في ذلك اليوم، وفي خلاله اختصته شيلا بابتسامة عذبة

وانتهى الأمر بقيصر إلى هذا الحد. ومنذ ذلك اليوم وهو يحمل

وجها عبوسا، وما ذلك إلا لتأكده من أن مشاعره تحمل الحب لشيلا، ولكن أي أمل له - وهو الموظف البسيط ذو الأجر الضئيل - في آنسة يبتغيها لنفسه رجل مثل (راند) الثري. وبالمال الوفير تستهوى كل آنسة؛ ثم ماذا يقدمه لها عوضا عن المال؟ أيقدم اسمه العظيم الذي لم يحسن حتى اليوم صيانته؟ أم يقدم لقبه كرئيس لجمعية رماية القرص؟ لا شك أن هذا وذاك لا يغري، وليس ثمة من فائدة ترتجى أما لو كنت رئيسا أو وكيلا لرئيس أو على الأقل سكرتيرا لإحدى المؤسسات الكبرى، وكان لدى ما فيه الكفاية من المال لما توانيت عن نقش اسمي ووظيفتي على قبعتي، ولأمكنني إذن أن أفصح عما يخالج نفسي، ولعرفت كيف أرفع من شأن اسمي.

ولكن أي حال عليها أنا الآن؟ قيصر!! لاشك أنه هزؤ وسخرية، وما دمت موظفا بسيطا في (محل دولتل وشركائه) فلست قيصرا بل مجرد (أنت يا سمث) أو (أي. أنت الذي هنالك) ذلك إذا ما أريد مني شيء

وانطوى على أفكاره، ثم تذكر موعده فسار إلى منزل شيلا، ولاحت له من بعد سيارة (راند) مستقرة أمام المنزل. والأولى أن نتغاضى عما تمتم به ساعة أن رآها

وسألها (راند) أثناء تناول الطعام:

- إذن فستحضرين يوم السبت إلى ملعب كرة القدم، حيث تشاهدينني في الحفلة التي تقام ضد فرقة الأبطال الأقدمين)

وأجابت شيلا: (نعم)

ونظرت إلى قيصر وقالت:

- (ولعلك تحضر أنت أيضا!)

وهز هذا رأسه وقال:

- (إنني آسف، إذ أني سأشترك في اللعب)

وسأله (راند): (أي شيء، كرة القدم؟) ثم نظر إلى قيصر

متعجبا من ضآلة جسمه وحقارة مظهره الذي لا ينم عن بطولة
واحمر وجه قيصر خجلا وقال:
- (كلا، بل رماية القرص)
فقال (راند) هازئا:
- (أي، إنكم ترمون بذلك الطبق الصغير هنا وهنالك، أليس كذلك؟ لقد فعلت هذا يوم أن كنت صبيا. أما الآن فأني أجدها لعبة مملة)
وأجاب قيصر لفوره:
- (وكذا شأني وكرة القدم. لقد كنت أبحث دائما عن لعبة تتجلى فيها المهارة. ولا شك أن قرصا يرمي ليصيب هدفا أدعى للمهارة والدقة من كرة تدفع بالأرجل لتتقدم في السير)
وتدخلت شيلا في ذلك الحديث الذي أخذ يشتد وقالت:
- (ألم نذكر شيئا عن النزهة بالسيارة؟)
وتحمس (راند) وقال:
- (بلى، دعينا نذهب إلى الشاطئ)
والتفتت شيلا لقيصر وقالت له:
- (وستكون بالطبع معنا)
وما أن وصلوا إلى الشاطئ حتى نزل ثلاثتهم من السيارة، وأخذوا يتريضون في طريق البحر، وقد خلا من الناس أوكاد، ولم يبقى إلا بضعة أفراد متفرقين يستمتعون بالاستحمام في البحر
وأرادت شيلا أن تطرق حديثا لا يجر إلى المشادة، فسألت:
- (هل يمكنك السباحة؟)
ولم يعرف كلاهما لمن وجه السؤال، إلا إن قيصر بادر بالإجابة فقال:
- (قليلا، إذ لم أتدرب عليها التدريب الكافي)
ثم قال (راند):
- (وكذلك حالي، إن لعب كرة القدم يستولي على كل وقتي،

ولهذا كانت معرفتي بالسباحة ليست عظيمة للغاية)

وسألته شيلا ثانية:

- (وماذا أنت فاعل إذا رأيت رجلا يغرق؟ وليكن على سبيل المثال ذلك الرجل) وأشارت بإصبعها إلى رجل يسبح على بعد غير كبير من الشاطئ

وأجاب (راند) في لهجة الواثق من نفسه:

- (بالطبع أقذف نفسي في الماء وأعود به إلى الشاطئ)

ونظرت شيلا إلى قيصر وقالت:

- (وهذا ما أنت فاعله أيضا، أليس كذلك؟)

وتردد قيصر في الجواب ورنا ببصره إلى ما وراءه فوجد قائمة في مدخل البحر معلقا بها (حزام النجاة) مشدودا بحبل إلى القائمة. فقال:

- (كلا، إنني لا أقذف بنفسي في اليم إذ أني لا أجيد السباحة، ولا يمكنني أن أسدي للغريق نفعا)

وصاح راند بصاحبه: (أي جبان!) ضمنها شيء من السخرية

وحدقت شيلا في قيصر الذي يحمل اسما كثير الوعود والآمال. وسألته مرة أخرى:

- (إذن تتركه يغرق؟)

فأجاب قيصر: (كلا)

وقبل أن يتم حديثه أخذ السابح - وقد كان على وشك النسيان منهم - في أن يثير المسألة بنفسه. وكانت مفاجأة عجلى ساعة أن رفع السابح ذراعيه في الهواء وصرخ مستغيثا.

فنزع راند معطفه. ثم تردد وقال في نفسه: هل من الأنصاف أن أضحي بحياتي؟ ولاشك أنه رأى في هذه اللحظة الماء في تلك البقعة أعمق منه في المحيط، ثم هو أصقع من ثلج القطب.

وحثته شيلا، وقد بدأ القلق ينتابها:

- (أسرع إنه يشرف على الغرق)

وصاح الرجل من الماء في صوت يكاد يختنق:

- النجدة، النجدة!!

وصاحت شيلا مرة أخرى:

- (أسرع، أسرع وإلا ذهبت أنا بنفسي إليه)

وقال قيصر بينما كان منافسه يتباطأ بشكل مزر ليخلع حذاءه:

- (قفي مكانك!)

ثم انتزع (حزام النجاة) واتخذ موقفا كالذي اعتاد أن يقفه في عصر كل يوم سبت لرماية القرص. ثم رمى رميته فتطاير الحزام مع الهواء ورسم في الفضاء قوسا عاليا، ثم انبطح دفعة على الماء. وقد كاد يسقط على رأس المشرف على الغرق وقال قيصر وقد تملكته السكينة والثقة بالنفس:

- (مصيب!... يقدر بنقطتين..)

وكانت شيلا ترقب رميته وتتابعها بنظرات وجلة. فلما أن اقتيد الرجل الذي نجا وجيء به إلى الشاطئ وأفرغ زفيره وتأوهاته، سأل عمن رمى إليه بحزام النجاة، فأشارت شيلا إلى قيصر وقد تملكها الفخار

وحدق الرجل الذي نجا من الغرق في قيصر وقال له:

- (ظننت حقا أن حياتي قد انقضت، إذ أصبت بتصلب في الشرايين فجأة... لقد كانت رمية متقنة)

وأفصحت شيلا عن قيصر بقولها:

إنه رئيس جمعية رماية القرص

وقال الرجل وقد أدرك سر الأمر:

- (آه، لهذا كانت تلك الرماية محكمة. والآن اسمح لي أن أقول لك إنك أستاذ ماهر. ولو أنك لم تكن هنا لكنت الآن في ناحية ما من قاع البحر... إنني أود من صميم فؤادي أن أقدم لك خدمة بأي حال، فعرفني ماذا تريد)

وما فرغ من كلامه حتى أخذ ينظر إلى قيصر من قمة رأسه إلى

أخمص قدميه، ثم سأله:

- أين تعمل؟

فأجاب قيصر:

- (في محل دولتل وشركائه)

- (واسمك؟)

- (قيصر سمث)

وقال الآخر بصوت خافت:

- (إن قيصر اسم بديع) ثم أفصح وقال: (واسمي بلوارك) وأعقبه قيصر متسائلا:

- (من مصنع ينيفرسال للسيارات؟!) فقد كان اسم بلوارك معروفا للجميع، حتى لصبية الشارع

فقال هذا: - (نعم، وإن لم تعلق أهمية خاصة على وظيفتك الحالية فإني أتقبلك في محل عملي بكل ارتياح إنني دائما في حاجة إلى شاب له قدرة على العمل في الوقت المناسب والرجل العملي يجد عندي الطريق مفتوحا أمامه.)

وأبرقت عينا قيصر وتمتم:

- (إذا فلا أقل من سكرتير!)

واتجه ببصره نحو شيلا التي كانت تحدق فيه طوال هذه المدة والإعجاب به قد تملكها

واندفع قيصر قائلا وكأنه قد استقر على أمر:

- (ليس من طبعي أن أستخلص الحوادث فأستثمرها لنفسي، ولكن إن كنت حقا في حاجة إلي فأني أبحث عن وظيفة تمكنني من الزواج.)

ثم أخذ يد شيلا في يده، فما تراجعت ولا وهنت، وكان ذلك أمام سمع (راند) وبصره الذي تبلبل وانطفأ منذ اللحظة الأولى لتلك الواقعة

وهكذا جاوز قيصر كل تقدير.

آل بونتبي. . .
ستيفن فنسنت بنيت

تتكون عائلة بونتبي من تسعة أفراد: أم، وأب، وستة أولاد، ثم خادم متقدمة السن. وهم يعيشون في مجاهل الغابة حيث يقتطعون الأخشاب ويتجرون فيها، وبذلك اعتزلوا البلدة وأهلها فسرت تلك الإشاعات الهامسة التي كان يتناقلها أهل البلدة عنهم وذلك الشعور المبهم الذي كان يساورهم كلما رأوهم قادمين بين كل فترة طويلة وأخرى لتبادل المحاصيل بالمواد الغذائية اللازمة، أو حين يتوجهون إلى الكنيسة في أيام الآحاد، حتى لقد قيل عنهم إنهم يضربون في مجاهل تلك الغابات المخيفة حتى ائتلفوا مع حيواناتها المفترسة وأصبحت تربطهم بها صلة صداقة وثيقة.

شاء القدر أن يتوفى عميد العائلة، ثم تلحق به زوجه، وسرعان ما توفيت الخادم العجوز كذلك، وتركوا الأبناء وحدهم وقد شعروا بنتائج تلك الوفيات المتلاحقة، فها هي ذي الأتربة بدأت تتراكم على النوافذ والجدران، وها هم أولاء يطهون طعامهم بأيديهم، طعامهم الذي فقد نكهته الأولى التي تعودوها في حياة والدتهم.

ولما تشاوروا فيما لم يجدوا مخرجاً من ذلك المأزق الحرج وبديلاً لتلك الحياة الشاقة سوى أن يتزوج أحدهم حتى ترعى امرأته المنزل بما لها من حنكة النساء ودرايتهن بتدبيره. ولما اختاروا أكبرهم ويدعى هاري لقيام بتلك المهمة التي سبق أن أجمعوا على صعوبتها، حاول أن يتهرب منها وأن يلقي بالعبء على أخيه الذي يليه؛ ولكن هذا حاول أن يسند الأمر إلى من يصغره. . . وهكذا. . . حتى وجد هوب الأصغر أنه هو المكلف بالأمر فمانع واعتذر

واقترح أن يقترعوا فيما بينهم وكانت نتيجة الاقتراع أن اختير هاري الأكبر.

وفي اليوم التالي ألبسوه أنظف لباس ثم أرسلوه إلى المدينة ليبحث عن زوجة له.

سار مشتت الفكر مبلبل الخاطر وقد قرر أن يفاتح أول فتاة تقابله في أمر الزواج به. ولكن كانت أول من قابلته امرأة متزوجة، ثم التقى بطفلة صغيرة، وأخيراً ابنة الحاكم التي ما أن رأته حتى فرت هاربة.

فغمره اليأس ودخل حانة صغيرة وجلس بقرب النافذة ليشرب كوباً من الخمر. وبينما هو يرسل نظرة تائهة نحو الخارج رآها، وكانت في ملابس الخادمات، ريانة العود، عذبة الملامح. ولم يشعر بنفسه إلا وهو يسرع إليها ويبتدرها قائلاً:

- ما أبهج الصباح، وما أسعدني بلقائك، يا له من يوم جميل يصلح لأن يكون يوم زواج.

فنظرت إليه طويلاً ثم ابتسمت قائلة: هو كذلك.

فتشجع وقال في حماسة: أتتزوجني. . . أنا أدعى هاري بونتي وأسكن الغابة واصلح لأن أكون زوجاً طيباً.

فتمنعت قليلاً في بادئ الأمر ولكنها سرعان ما وافقت. فأخذها من يدها مسرعاً إلى الحاكم ليعقد عليها ثم أشترى لها ملابس جديدة وعاد بها إلى منزله عودة الظافر المنتصر.

ولما رأت اخوته الخمسة قالت - لماذا لم تخبرني بذلك يا هاري من قبل؟

فقال: لعل سعادة لحظة الزواج أنستني كل شيء عداها.

ثم دخلت ذلك المنزل الكبير واستعرضت ما فيه فهالت الأتربة المتراكمة والكميات الوافرة من الطعام التي تكفي لإشباع بطون كثيرة، وأكوام الملابس القذرة التي في أشد الحاجة إلى أيد تغسلها وتتعهدها. فشمرت عن ساعديها وأقدمت على العمل مجتهدة

وتناول الفتيان ليلتئذ أول عشاء جيد لم يسبق أن تذوقوه منذ شهور.

كرت الشهور تتلوها الأيام واحتلت ميلي في نفوسهم جميعاً مكانة عظمى فأصبحوا رهن إشارتها يضحون بكل ما تطلبه منهم كما تغيرت وجهة نظرها الأولى التي كانت تحفظها عنهم وهي في البلدة إذ وجدت فيهم أناساً يتحلون بأنبل السجايا وعجيب كيف يختلف أهل القرية تلك الإشاعات المفتراة عنهم.

ويوما، لاحظ عليها زوجها أنها تكد وتجتهد وتكافح في سبيلهم حتى هزل جسدها ونال الضعف من قوتها فقال لها - يجب أن تنالي راحتك ولو قليلاً يا عزيزتي.

فنظرت إليه في ابتسامة وقالت - وبخاصة وأنا أشعر بذلك الجنين الذي بدأ يتحرك في أحشائي.

فاجتمعت العائلة وقررت أن يتزوج هلبرت الأخ التالي حتى تمد زوجته يد المساعدة إلى ميلي في إدارة المنزل.

وفي صباح اليوم التالي توجه هلبرت إلى البلدة وانتظره أخوته ولكنه عاد فاشلاً، فما من فتاة قبلت الزواج منه. وهن يتعجبن كيف تسنى لميلي أن تحتمل أعباء المعيشة معهم. فأرسلوا هوسيا الذي يصغره في اليوم التالي ليجرب حظه. . . ثم الأصغر. . . ثم الأصغر. . . إلا أنهم أخفقوا جميعاً في مساعيهم. وأخيراً لم تجد ميلي مفراً من أن تقف فيهم قائلة:

(يا اخوتي الأعزاء، يجب أن تسلكوا طرقاً أخرى تمكنكم من نيل مآربكم، فلقد رفضت هؤلاء الفتيات الزواج منكم بعد أن سألتموهن، فلنجرب طريقة أخرى. لم لا تتزوجهن أولا ثم تسألوهن الموافقة بعدئذ!.)

فهتفوا في صوت واحد - وكيف ذلك؟

فقالت - لقد قرأت يوماً في كتاب التاريخ أن جماعة من الرومان تقدموا للزواج من فتيات بلدة من البلدان ولكن لسوء حظهم

رفضت الفتيات أن يرتبطن معهن بتلك الرابطة، فما كان منهم إلا أن أغاروا على البلدة ليلاً وعادوا بنسائهم اللاتي اختاروهن عنوة معهم. فإذا لم تفعلوا أنتم مثلهم فلن أكون لكم أختاً بعدئذ، ولن تتقدم يدي إلى طعامكم أو ملابسكم، بل عليكم أنت أن تفعلوا كل شيء بأيديكم كسابق عهدكم.

فساد الصمت بينهم ولكن عاد صوتها يقول - أرجو ألا ينفذ اليأس إلى قلوبكم، فأن ما يجعلهن يحجمن عن الزواج بكم إنما هي تلك الإشاعات الكاذبة التي يفترونها القوم عليكم هناك، ولكني أؤكد أنه إذا ما قبلت إحداهن الزواج فسرعان ما تتقاطر الأخريات عليكم.

وبقيت صامتة فترة إلى أن خطر لها أن تسأل.

- هل هناك من يحرر عقوداً سوى الحاكم؟

فأجابوها - هناك قسيس فقير في الغابة.

- حسناً لقد انتهى الأمر.

كان اليوم أحد أيام الأعياد الوطنية، وقد اعتاد الأهالي، أن يتركوا أسلحتهم في منازلهم في مثل تلك الأعياد. وفي المساء وأهل البلدة في هرجهم ومرجهم إذ بهم يفاجئون بالأخوة بونتي وقد أشهروا أسلحتهم مهددين. . . وسرعان ما انطلقوا هاربين بعد أن حملوا صفوة الفتيات التي اختاروهن ولم ينسوا أن يغلقوا أبواب البلدة خلفهم جيداً حتى وصلوا إلى منزلهم في الغابة سالمين.

عالج أهل البلدة فتح الأبواب فلم يتمكنوا من ذلك إلا في الفجر، وكانت الثلوج تتساقط في غزارة حتى عجزوا عن تمييز أي شيء. وبقيت الحال على ذلك عدة أيام طويلة بعدئذ حتى دب اليأس إلى قلوبهم خوفاً من الذهاب إلى منزل آل بونتي مخترقين تلك الطريق المظلمة الخطرة ولم يجدوا بداً من الانتظار حتى الربيع.

أمسكت الفتيات في بادئ الأمر عن تناول الطعام وتمسكن

بأهداب الفكرة التي كانت تحوم برؤوسهن دائماً عن العودة إلى أهلهن. ولما لاحظت ميلي ذلك الامتناع البغيض، جعلت تدبر الأمر في سياسة، فأول ما فعلت أن جهزت لهن الشاي وجعلت تقنعهن حتى تناولته. ولما سرى الدفء في أجسادهن بدأت تقول. (أنه لمن دواعي أسفي حقاً يا آنساتي أن أجدكن على تلك الحال التعسة بعد أن اختطفكن هؤلاء الوحوش. ولو أني عملت أن تلك هي نواياهم لنصحتهم بالعدول عنها. بودي لو تعدْن جميعاً إلى بلدتكن، ولكن ما حيلتي الآن. . . والثلوج متراكمة في الطريق. . . علينا إذن أن ننتظر حتى الربيع. ولكني أؤكد لكن أني سأحرص دائماً على بقائكن في أمان ودعة).

ثم أخرجت مجموعة كبيرة من المفاتيح وعادت تقول (سنبقي نحن هنا، ونغلق علينا أبواب المنزل جيداً، وأما هؤلاء الحمقى فليتناولوا طعامهم في حظيرة البهائم حتى تخزهم ضمائرهم ويندموا على هذه الفعلة الشنعاء).

فأشرقت وجوه الفتيات لذلك، وقادتهم ميلي إلى حجراتهن وهن يشعرن بصداقتها الحقة.

ظلت الحال على ذلك أسبوعاً كاملاً، فالفتيات داخل المنزل المغلقة أبوابه وقد تحققت أحلامهن القديمة عن حياة خالصة من شوائب الرجال. يا للسعادة حينئذ. . . جعلت ميلي تحبذ تلك الفكرة فتقول: (أترين يا صديقاتي أن الحياة بدون رجال جنة من جنات النعيم والخلد) وكن يوافقنها في حماسة في بادئ الأمر.

إلا أن الملل بدا يتسرب إلى نفوسهن على مر الأيام وبدأن يسأمن ذلك الحديث، ولاحظت ميلي أنهن يحاولن بقدر المستطاع رؤية أحد الفتيان من النوافذ أو من خلف الستائر كما بدأت تقوم بينهن المنازعات. . . وحينئذ. . . قررت ميلي أن تخطو خطوتها الثانية

جمعتهن يوماً في حجرة واسعة بطرف المنزل فاستعرض الفتيات ما فيها من أثاث وإذا بابنة الحاكم تتح صندوقاً وقعت

عليه عينها فوجدت فيه ثوب عرس فأفلتت منها صيحة إعجاب جعلت الباقيات يتجمعن حولها ويتحسسن الثوب في رغبة خفية.

فقالت ميلي في حزم - دعن الثوب. . . لقد صنعته لما حاول أحدهم الزواج بإحداكن. . . دعنه. . . ولكنهن تجاهلن كلماتها وأسرعت ابنة الحاكم ترتديه وهي تقول:

- أن هوب الصغير له شعر مجعد، كم هو مغرٍ

فقالت ابنة المحامي - ليس لهوب ما لهلبرت من جمال

فقالت الثالثة - أرأيت عيني هارفي، إنهما فاتنتان بنظراتهما الهادئة الوديعة.

وقالت الرابعة: ما اجمل اسم هوارد وما ألطف وقعه على الأذن!

فقالت ميلي وهي تتظاهر بالخوف - ما هذا يا فتياتي. . أأصابكن الجنون؟

فرمقنها بنظرات التحدي والثورة حتى اضطرت إلى أن تخبرهن بأن هناك أربعة أثواب أخرى غير هذا الثوب.

ولما بدأن يهرعن لرؤيتها أوقفتهن وهي تقول - إن أردتن الزواج من آل بونتبي، فليس هناك أي مانع، ولكن أعلمني أني لا أزال مسئولة عنكن أمام آبائكن، فبمجرد زواجكن يجب أن يعود كل إلى مكانه، أنتن إلى هنا، وهم إلى حظيرتهم، ولا يمكنني أن أجمع بينكن وبينهم إلا بعد الحصول على موافقة آبائكن.

قام القسيس الفقير بصوغ العقود الخمسة، وعاد الرجال إلى حظيرتهم، كما أغلقت أبواب المنزل على الفتيات.

ولكن حدث في ذلك المساء أن هبت ابنة الحاكم صارخة:

- أنا لا أفهم كيف تقوي فتاة متزوجة لها شرعية الوجود مع زوجها دائماً على أن لا تراه إلا من النوافذ خلسة!

وحينئذ ارتضت ميلي أن تسن لهن قانوناً خاصاً، فسمحت للرجال بزيارة زوجاتهم ثلاث مرات في الأسبوع، على أن يتناولوا

العشاء معهن تحت مراقبتها.

كان النفور هو الشعور السائد بين الفتيان والفتيات في أول الأمر، ولكنه سرعان ما اختفى، فهاهي ذي أبنة الحاكم وقد سمحت لهوب أن يضغط يدها في غفلة عن ميلي، كما خاطت ابنة المحامي زراء في ثوب هلبرت وهكذا بدأت الأحوال في التحسن والانتعاش ولو أن ميلي كانت تتظاهر دائماً بالحذر في رقابتها.

وفي صباح يوم من أيام يناير استيقظت ميلي ونظرت من النافذة فابتسمت ابتسامة عريضة. لقد ضربن برقابتها عرض الحائط. فها هن يمرحن مع أزواجهن، تلك تحدث زوجها والأخرى تقبله، والثالثة تعدو أمامه. فشعرت بالسرور يملأ قلبها وخطر لها خاطر لم يزعجها، إذ هي تذكرت أهلهن ولكنها وهي المدبرة قد احتاطت للأمر من مبدئه إذ أوصت الفتيان أن يتركوا خطاباً بإمضاءاتهم هم الخمسة ويذكروا فيه حسن نواياهم ونبلها ويطمئنوا الرجال على فتياتهم.

وفي ذات يوم بعد أن وضعت ميلي طفلها بستة أسابيع، جاءها هوب وهو يلهث ويقول:

- لقد جاء يا ميلي كل رجال المدينة مدججين بالسلاح، تبدو على وجوههم معاني التحدي والشراسة. ماذا نفعل؟

قامت ميلي فجمعت الفتيات وأصدرت إليهن أوامرها كما أخفت الفتيان في مكان أمين، ونظرت أمامها فوجدت تلك الكتل البشرية القادمة صوب المنزل تحت قيادة الحاكم فلم تعرهم التفاتها.

ولما وصل القوم إلى المنزل عجبوا وتولتهم الدهشة، إذ وجدوا أبوابه مفتوحة على مصراعيها، فما كان من الحاكم إلا أن قرع الباب مرتين فظهرت ميلي تحمل طفلها فبادرته قائلة

- لقد جئت في الوقت المناسب يا جناب الحاكم فأنا أود أن أعمّد طفلي... هل جئت بذلك السلاح لتعمده به؟

فخجل الرجال وألقى سلاحه ثم قال في حدة - ليس لي شأن بولدك. . . أين ابنتي؟

فقالت في هدوء - أصغ جيداً. .

أرهف الكل سمعهم فطرقت آذانهم صوت آلة غزل تدور وصوت آخر يجاريها وهو يتعالى بنشيد في مرح وسرور. وقالت ميلي: ها هي ذي ابنتك يا جناب الحاكم. . أتراها سعيدة أم شقية؟ فتمهل الحاكم ثم قال - إنها سعيدة. .

وسرعان ما تعالت أصوات الباقين يتساءلون عن فتياتهم، ولما أصاخوا السمع كانت هناك إحداهن تنشد أغنية عذبة، وأخرى تغسل في حبور، وثالثة تطهي الطعام.

وخاطبتهم ميلي أخيراً (هاهن بناتكم، ألسن سعيدات، نحن جميعاً ندعوكم لتناول الغذاء معنا) وأخيراً ظهرت الفتيات فهرع آباؤهن إليهن، وتم التعارف بين الأزواج والأصهار.

دوامة الحياة

ا. هنري

عند باب مكتبه جلس (بناجا ويدب)، القاضي، يدخن غليونه الضخم ويرسل نظراته إلى جبال كمبرلند التي كساها ظلام الأصيل لونا أغبر يميل إلى الزرقة، ومن الطريق العام المنحدر بالمقاطعة، جاءت دجاجة رقطاء تختال وتصيح صياحا أحمق.

وانبعث من أعلى الطريق صوت صريف عجلات، وامتلأ الجو بغبار حجب ما وراءه من مشاهد الطبيعة ومجاليها، ثم بدت مركبة يجرها بغل تحمل (رانسي بلبرو) وزوجته. وقفت المركبة بدار القاضي، فترجل عنها الرجل وزوجه. وكان رانسي أهيف القد، شاحب البشرة داكنها، ذهبي الشعر، يبلغ طول قامته ستة أقدام، تجلله مهابة سكان الجبال فتضفي عليه كساء شبيهاً بحلة من حلل الحرب المدرعة. وكانت المرأة ساذجة ضجرة، تخامرها رغبات غامضة لا تنفك تضايقها ولا تفتأ تقض مضجها. وبدا من خلال تصرفاتها نوع من الاحتجاج الطفيف على الشباب الزائف الذي تفطن إلى فقدانه وبسرعة دس القاضي قدميه في نعليه ليزداد وقاراً؛ ثم تحرك ليفسح لهما الطريق. وقالت المرأة بصوت كصوت الريح حينما تداعب فروع الأشجار: (نريد الطلاق). ثم رمقت رانسي بنظرة فاحصة لتتبين هل لاحظ في تصريحها هذا عيباً أو غموضاً أو مراوغة أو تحيزاً أو مشايعة لنفسها فأومأ رانسي برأسه مؤكداً وردد: (طلاق. . . لم نعد نستطيع أن نعيش معاً، الحياة في الجبال مقفرة وتقتضي أن يعني كل من الرجال والمرأة بشؤونهما. ولكن متى شرعت المرأة تموء كالقط الوحشي، وتنعق كالبومة النمس في كوخ زوجها، فلن يجد الرجل سبباً يحمله على

معاشرتها).

وقالت المرأة دون اكتراث: (حين لا يعبأ الرجل بنفسه ويقضي وقته في شرب الخمور واحتساء الويسكي ومعاشرة مقطريها، ويعني فضلا عن ذلك بعدد من كلاب الصيد. . .). فقال رانسي: (حين أن تدأب المرأة على أن تبعثر أغطية الطعام، وعلى صب الماء على أحسن كلب في كمبرلند، وعلى إعادة طهي مأكولات زوجها، وحمله على السهر ليلا متهمة إياه بتهم شتى. . . . .!). (حين يدأب على تبديد دخله والتمتع بسمعة رديئة في الجبال والسهر ليلا. . .)، فانصرف القاضي إلى مهامه. وقدم مقعده الوحيد وكرسي مطبخ إلى زائريه. ثم فتح كتاب الأحوال الشخصية على المنضدة وألقى نظرة على محتوياته ومسح منظاره وأزاح المحبرة. ثم قال: (القوانين والأحوال الشخصية لا تقول شيئاً في شأن موضوع الطلاق. هذا فيما يتعلق باختصاصات هذه المحكمة. ولكن العدالة والدستور والقانون الذهبي تنطوي جميعها على مساومة من ناحية واحدة فقط. فبدهي أن القاضي الذي يستطيع أن يزوج رجلا وامرأة يستطيع أن يطلقهما، وهذا المكتب هنا سيصدر شهادة الطلاق تقرها المحكمة العليا). وأخرج رانسي بلبرو من جيب سرواله علبة طباق صغيرة ونثر منها ورقة من فئة الخمسين دولارات على المنضدة وقال: (لقد بعت جلد حيوان وفراء ثعلبين بهذا الثمن، وهو كل ما أملك).

فقال القاضي: (إن الرسوم العادية للطلاق في هذه المحكمة هي خمسة دولارات). وتناول الورقة المالية ودسها في جيب الصديري المنسوج في المنزل، وتصنع عدم المبالاة. وكتب شهادة الطلاق على نصف ورقة فولسكاب ثم أعاد كتابتها على النصف الآخر، وبلغ في هذا جهد جسمياً كبيراً وتفكيراً ذهنياً مبرحاً. وأنصت كل من رانسي بلبرو وزوجته إلى تلاوته للوثيقة التي سوف تمنحها الحرية: قال: (ليعلم الناس جميعاً بمقتضى هذه الشهادة أن رانسي بلبرو وزوجته أريلا بلبرو حضرا اليوم أليّ شخصياً وتعهدا

ابتداء من اليوم بأنهما لن يحيا أو يحترما أو يطيع أحدهما الآخر سواء أكان ذلك للخير أم للشر. وأقر بأنهما يتمتعان بجسم وعقل سليمين وانهما قبلا شروط الطلاق حسب نظام الولاية ووقارها. فلا تعثرا وليعينكما الرب. . . الإمضاء. . . بناجا ويدب القاضي لمقاطعة بيد مونت بولاية تنيسي ومن أهلها)

وهمّ القاضي بتسليم إحدى الوثيقتين إلى رانسي حينما ارتفع صوت أريلا. فنظر كل من الرجلين إليها وفوجئا بما لم يكونا يتوقعان منها. فقد قالت: (مهلا يا سيدي القاضي، لا تسلمه هذه الورقة. لم نسو كل شئ بعد. ينبغي أن أنال حقوقي أولا. يجب أن أحصل على نفقتي أولا، ليس هذه هي طريقة طلاق رجل من امرأته دون أن يترك لها ما لا تعيش به.

إنني سأذهب إلى أخي (إند) في جبل هوجباك، وأريد أن أشتري زوج حذاء وبعض الأشياء الأخرى، وإذا كان رانسي يقدر على طلاقي، فدعه يقضي لي نفقتي). فصعق رانسي بلبرو وتملكته الحيرة ولم يتكلم. فلم يشر من قبل إلى موضوع النفقة. ومن عادة النساء أن يثرن مسائل عجيبة غير مدروسة. وأحس القاضي بناجا ويدب أن المسألة تحتاج إلى قرار قضائي. والتزم الطرفان الصمت في موضوع لنفقة، غير أن قدمي المرأة كانتا حافيتين والطريق في جبل هوجباك صخر وعر. فسأل القاضي في أسلوب رسمي: (يا أريلا بلرو - كم يعوزك من النفقة في القضية المنظورة أمام المحكمة؟).

فأجابت: (أريد أن أبتاع حذاء، فيلزمني نحو خمسة دولارات ليست هذه نفقة كبيرة، ولكني أعتقد أنها تكفي لأتوجه إلى منزل أخي (إيد). . .). فقال القاضي: (المبلغ معقول يا رانسي بليرو، المحكمة تأمرك أن تؤدي إلى المدعية خمسة دولارات قبل أن يصدر قرار الطلاق). فتنفس رانسي بصعوبة وقال: (ليس لدي مال. . . وقد أديت إليك ما كان معي). فحدق القاضي من وراء منظاره، وقال بعنف: (وإلا فأنت تزدري بالمحكمة).

واستأنف الزوج قائلا: (أعتقد أنه يمكنك أن تقرضني المبلغ وسأرده إليك غداً بأي كيفية. . . فإني لم أتوقع قط أني سأطالب بنفقة). فقال القاضي بناجا ويدب: (أجلت القضية إلى الغد حينما تأتيان أليّ معاً وتمتثلان لأوامر المحكمة. وعقب ذلك سنصدر الطلاق). ثم جلس إلى جانب الباب وأخذ يحل رباط حذائه. . .

فقال رانسي: (يمكننا أن نذهب إلى منزل (العم ريا) لنقضي الليل فيه) ثم ركب المركبة من ناحية وركبتها أريلا من الناحية الأخرى. وشد اللجام فتحرك البغل البني اللون ببطء ثم أخذت العربة تنهب الأرض حتى اختفت وسط الغبار المتصاعد.

وأشعل القاضي بناجا ويدب غليونه العتيق. واشترى جريدته الأسبوعية، فقد أوشك النهار أن ينقضي، وشرع يقرؤها حتى طمس الظلام سطورها. ثم أشعل قنديله على المنضدة، واخذ يقرأ حتى طلع القمر مؤذناً بحلول موعد العشاء. وكان يسكن كوخه الخشبي في المنحدر على مقربة من الغابة. وفي طريقه إلى منزله اجتاز منطقة تظللها أشجار الغار المتشابكة. وإذ ذاك برز من بين الأشجار شبح ملثم وسدد إلى صدره غداره، وهو يقول، (أريد أموالك، لا أريد كلاماً. أني عصبي وإصبعي على زناد الغدارة. . .).

فقال القاضي متلعثما: (ليس معي سوى خمسة دولارات). ثم أخرجهما من جيب الصديري. وصدر الأمر إليه: (إطوها وضعها في فوهة الغدارة). وكانت الورقة المالية جديدة رقيقة. غير أن الأصابع المرتخية المرتعشة وجدت بعض العناء في طيها ووضعها في فوهة الغدارة). فلما تم هذا مال اللص: (الآن تستطيع أن تمضي). فسار القاضي مهرولا، لا يلوي على شيء.

وفي اليوم التالي جاء البغل البني الصغير يجر المركبة ووقف بباب المكتب وكان القاضي بناجا ويدب منتعلا حذاءه، إذ كان يتوقع زيارة. وترحل رانسي بلبرو وزوجه، وقدم إليها في حضرة القاضي ورقة مالية من فئة الخمسة دولارات. فحدقت عينا

القاضي في الورقة، وكانت مطوية كما لو كانت منتزعة من فوهة غدارة. غير أن القاضي التزم الصمت لأنه ليس ثمة ما يمنع من أن تطوى أي ورقة مالية. وسلم كلا منهما نسخة من شهادة الطلاق. ووقف كل منهما صامتاً يطوي قسيمة الحرية على مهل. وحدجت المرأة رانسي بنظرة خجولة مفعمة بالعواطف، وقالت له: (أعتقد أنك ستعود إلى الكوخ بالمركبة. ستجد الخبر في العلبة الصفيح الموضوعة على الرف. ووضعت الدهن في إناء الغلي حتى لا تصل إليه الكلاب. لا تنس أن تملأ ساعة الحائط الليلة).

وأستفهمها رانسي في شئ من الإهمال: (وأنت، هل تذهبين! إلى منزل أخيك (إيد)؟).

- كنت أنوي أن اذهب إليه قبل حلول المساء. لن أقول، لأني سأزعج أهل أخي، وأحملهم على الترحيب بمقدمي، ولست أعرف مكاناً آخر أقصده. على كل حال من واجبه أن يرحب بي أني ماضية. هل أقرئك السلام يا رانسي هذا إذا لم تمانع؟).

فأجاب رانسي بلهجة الرجل الذي ذهب ضحية: (ولم لا أقرئك السلام، إلا إذا كنت تواقة إلى الفرار مني دون انتظار تحية ما). فالتزمت أريلا الصمت. وطوت الورقة المالية من فئة الخمسة دولارات وقسيمة الطلاق ووضعتها في صدر ردائها. وراقب بناجا ويدب الورقة المالية وهي تختفي بعينين حزينتين تطلان من وراء زجاج منظاره. وهنا قالت أريلا: (ستكون وحيداً الليلة في الكوخ يا رانسي). وحدق رانسي بلبرو بعينيه في الأفق إلى جبال كمبرلند، فرآها وقد كساها ضوء الشمس لوناً أزرق فاتحاً؛ ولم ينظر إلى أريلا وقال: (لا ريب في أني سأكون وحيداً، ولكن ما العمل وقد ركب الجنون عقل البعير وطلب الطلاق؟ لا سبيل إلى حمل البعير على البقاء). فقالت أريلا وعيناها إلى كرسي المطبخ: (إنما طلب الطلاق غيري. وليس هناك من لا يرغب في البقاء) - (لم يقل ذلك أحد قط).

- (أعتقد أنه يحسن أن أتأهب لزيارة أخي إيد).
- (ولكن أحداً لا يستطيع أن يملأ ساعة الحائط؟).
- (هل تريدني أن أعود معك في المركبة لأملأ الساعة يا رانسي؟).

وكانت ملامح رجل الجبال برهاناً ضد عاطفته. غير أنه مد يداً ضخمة إلى أريلا وقبض بها على يدها الرقيقة الداكنة. فانفرجت أسارير وجهها العبوس مرة ثانية.

وقال رانسي: (لن تعود الكلاب إلى إزعاجك. فقد أدركت أني كنت سافلا دنيئاً. ستملئين تلك الساعة يا أريلا).

فهمست له: (إن قلبي يدق في هذا الكوخ يا رانسي. هيا معك. لن أعود إلى جنوني ثانية. دعنا نرحل يا رانسي حتى نبلغ البيت قبل مغيب الشمس). وتدخل بناجا ويدب القاضي لما رآهما يتأهبان للرحيل وقد نسيا وجوده فقال: (باسم ولاية تنيسي أمنعكما جميعاً من العبث بقوانينها ونظمها. إن هذه المحكمة على استعداد كبير، بل ويسرها أن ترى سحابات الخصام وسوء التفاهم وقد انقشعت من قلبين شابين يتبادلان الحب، ولكن من واجب المحكمة أن تحرص على الأخلاق وعلى الاستقامة في الولاية. وتذكركما المحكمة أنكما لم تعودا رجلا وزوجته، وإنما أنتما مطلقين بقسيمة رسمية، فلستما إذن أهلا للتمتع بمزايا الشركة الزوجية). ومضى القاضي فقال: (غير أن المحكمة على استعداد لأن تلغي القيود التي فرضتها قسيمة الطلاق. فالمحكمة على استعداد أن تعترف بمراسيم الزواج الشريفة السامية التي يبغيانها. ورسوم مراسيم الزواج قدرها في هذه الحالة خمسة دولارات.

وتبينت أريلا في حديثه وميضاً من الأمل. فأسرعت بوضع يدها في صدر ثوبها وألقت بالورقة المالية على منضدة القاضي. وتلون خداها الشاحبان وقد وضعت يدها في يد رانسي بنصتان لحديث اللقيا. ثم ساعدها رانسي على ارتقاء المركبة، وركب جوارها، ودار البغل البني الصغير مرة أخرى، واتخذ وجهته شطر الجبال وقد

التقت كفاهما وتعانقتا. وعاد القاضي بناجا ويدب إلى الجلوس عند باب مكتبه، وخلع نعليه. ثم تناول الورقة المالية مرة أخرى ودسها في جيب الصديري. ودخن غليونه العتيد مرة أخرى.

وللمرة الثانية جاءت من الطريق العام المنحدر (بالمقاطعة) دجاجة رقطاء تختال وتصيح صياحاً أحمق.

نهاية الطريق
نيو بولد نوبز

هناك بين تلك الصخور التي تحث بحيرة (كومو) فتعقد حول مياهها الضاحكة سداً من ضباب، وعلى شغاف جبل يرتفع عن البحيرة بثلاثة آلاف قدم تجثم كنيسة صغيرة عبثت بها عوادي الزمن وهي تشرف على قريتي (كادنابيا) و (مناجيو). ويدور بكل ذاك محيط من جبال فارعة الذوائب سامقة القنن، تتناهى سفوحها إلى جبال الإلب العظيمة، ويبعد أقصى منازل القريتين عن الشعب الذي يطوق الجبل بميلين كاملين.

وقد كان القوم يحجون في كل عام إلى الكنيسة مرة، يبتهلون فيها إلى الله أن يكلأهم بعنايته، فينزل عليهم الغيث حين الجفاف وفيما عدا ذلك فغالباً ما كانت تُزار.

وقد كان (بلاجدن) يصعد في طريق لاحب متمعج قد امتد لامعاً في مجموعة من منازل ألبسها الماء ثياباً من زرقة صافية وكان الجو ساكناً، لا تخفق فيه نسمة من ريح، فتداعب أوراق الزيتون التي أكسبتها الشمس بريقاً فضياً بديعاً في الجبل، وكانت أشجار السرو تلقي على الهضاب ظلالها المستطيلة الوارفة، بينما كان (بلاجدن) يتقدم في طريقه صعداً شاعراً بكل ما يدور به من بدائع الحسن وآيات الجمال.

وعندما بلغ الكنيسة وولج الباب وجد من بردها وظلامها حائلين يقومان من دونه، ولكنه تخطى الباب إلى الداخل ثم خطى بضع خطوات، فكان لوقع أقدامه رنين كئيب قوي يطوف كل ربوع المكان، وكان من العسير عليه، أن يتبين في تلك الكنيسة شيئاً بعد أن كانت الشمس في الخارج تغمر ما يرى، غير انه ألف الظلمة

بعد قليل، وبصر في الركن البعيد بأربع شمعات موقدات، فاتجه نحوها بخطى وئيدة، بينما يقعقع تحت قدميه هذا البلاط الذي تأكله الزمان

وتجلى للناظر فوق الشموع الأربع صورة لمريم في إطار بسيط رخيص مذهب. وأدمن (بلاجدن) النظر في الصورة مأخوذاً. فقد كانت تحفة من يد صناع بارعة. إذ تجسم فيها مثال رائع من جمال أنثوي رائع. ولعل العينين كانتا أبدع ما في الصورة: كان يشع منهما بريق الإيمان والتفكير والرحمة

وكان الرسم طبيعي الحجم والخلقة؛ يتجلى في لون دخاني أزرق يوحي بالفكر ويبعث التأمل، وقد أكسبها نور الشموع المتراقص تحتها وسحراً وروعة، وانجمدت على شفتيها بسمة تأمل، فبدا الرسم في بعض الأحيان حياً. ولكن ما هذا؟ لقد انصدع صدر العذراء صدعاً، وانشق عند القلب شقاً رفيعاً مستطيلا؛ ثبت بأسفله خنجر دقيق ذو نصل رهيف

وانثنى (بلاجدن) إلى الخنجر ينزعه مفكراً، ولكن انبعث من ورائه في الظلام صوت يقول:

- أيها السيد! ما أحب لهذا الخنجر أن يمس!

والتفت (بلاجدن) وراءه رجلا، فإذا بشيخ يرتدى مسوح الرهبان، وقد هزل جسمه، وذبل وجهه، وتهدل شعره الأشيب، ولم يبق من ذلك الراهب إلا ذماء قليل وعينان مضيئتان أثارتا طلعة (بلاجدن) بتوقدهما الغريب، وأما بقية وجهه فقد كان شبيهاً بوجوه الموتى

وسأله (بلاجدن)

- ولكن لماذا؟

فخطا الراهب إلى الأمام في ذلك النور الشاحب المتراقص، ثم رمق الشاب الواقف بإزائه برهة، وتفرس فيه بعينيه الثاقبتين الباحثتين. وكأنما وجد شيئاً في ملامح ذلك الوجه كان يبحث عنه،

فانطلق لسانه في نبرات حنون عجب لها بلاجدن.

- سيدي! إن لذلك قصة. فهل لك في سماعها؟

فأومأ بلاجدن أن نعم. فسارا في الظلام حتى بلغا الصف الأول من مقاعد صغيرة واطئة، وقد استوى أمامهما رسم العذراء وتواثبت عليه أضواء الشموع الأربع وظلالها؛ وبدا الخنجر في أسفله يعلوه التراب.

وشرع الراهب يتحدث، وبلاجدن ينصت، وبصره قد انتظم الرسم البديع.

(كان ذلك من أمد بعيد، حين كانتا (روزا) تعيش مع أبويها في منزل صغير قائم في مناجيو. وكانت ترعى للشيوخ عنزاتهم، فتسبح كل يوم في أشعة الشمس ما سمحت لها دورة الفلك، وتغنى ما يطيب لها من فنون الغناء، فينساب صوتها في الجو كما تنساب مياه ضاحكة - كساها الظل - في جوف غدير صغير!

(كانت تغنى دائماً وتطرب أبدا؛ فقد كانت فتاة لم تبخل عليها الشمس بالسناء البهيج، ولم ينقصها الله حظها من الجمال البديع.

(وهناك كان (جيوفانى)؛ فقد كان يغدو كل صباح على وكرها الجميل حيث تنمو الزهور الصفراء ذات القلوب الوردية؛ فكانت دائماً ترشقه بأوراقها وقلوبها من وراء النافذة الصغيرة؛ فيضنى الفتى في الجد نفسه، ويكلفها في العمل شططاً. ولكنه كان يفنى ويفنى. أو لم يكن كل ذلك من أجلها؟

(وكثيرا ما كانت عنزاتها تعدو على كرمه وقت دلوك الشمس، فيسوقها أمامها إلى المنزل وهما يضحكان وينشدان، وقد اخذ كلاهما بذراع صاحبه، والشمس قد أرسلت عليهما - من وراء الجبال - أشعتها الذهبية فانعكست على مياه البحيرة، أو يسيران معاً وقد تلطفت أشعة الشمس من بعد توهج فيهيئ لها تاجا من الزهر مفتن في تنسيقه، متأنقا في ترصيعه؛ فتتقبعه وهى تضحك ضحكات مرحة.

(كانا كطفلين رعتهما العناية يا سيدي وغفل عنهما الدهر: فكثيرا ما كانا ينفقان الليل سامرين جالسين إلى البحيرة؛ يناقلها أحلامه، ويفضي إليها بأمانيه؛ بينما تنثر ذوائب شعرها الجميل على خده الأسمر نسمات لطيفة وانية، والقمر قد أرسل إليهما قبلاته، وانتظمت أشعة البحيرة، فبدا الماء طريقا من لجين يصل بين الشاطئين.

(وكان الناس يرددون من أمرهما أن زواجهما يتم في موسم جني العنب. وقد كان كذلك يا سيدي، لولا أن بدت قوة جديدة في أفقهما: تلك هي الكنيسة!

(وأكبر الظن أن ليس بين الناس من يدري أني تتحكم هذه القوة الطاغية في قلب فتاة غضة الجسم، رقيقة الشباب. لقد هتكت صدرها رغبة ملحة أن تنضوي تحت لواء الكنيسة وتدخل ذلك الدير القائم خلف البحيرة؛ تاركة دفيء الشمس وراءها وضياءها.

(لم تكن تريد أن تذهب! وكان هذا التناقض بديعاً أليماً في وقت معاً. هذه الفتاة الغضة الحسناء، تلوح كأنما هي جزء من ضوء الشمس، وعبير الزهر، وشدو الطيور؛ كان عليها أن تجعل من دون ذلك حجابا كثيفاً فتوصد عليها باب الدير العتيق!

(أما جيوفانى فقد جن جنونه، وطار عقله شعاعاً. لا بأس عليه في ذلك ولا جرم. فقد كان من القسوة أن تنتزع من بين شفتيه كأس نسج حولها وشي الأماني، وحاك مطارف الأحلام. . . أخذ بين يديها الناعمتين ثم جثا على ركبتيه ضارعاً ملتاعاً، وقد غض بدمعه المتسايل على خده الأسمر. وبكت كذلك روزا. ولكنها ما استطاعت أن تجيبه إلى ما طلب. . . لعلها كانت تحب الفتى يا سيدي، ولكن شيئاً أعظم من حب فتاة، وأعتى من غرام فتى!

(واستمهله روزا ليلة أخرى، كيما تقرر فيها ما تفعل. وقد أزمعت أن تأتي هنا إلى هذه الكنيسة فتبتهل إلى مريم أن تنير لها الطريق وتدعوها أن تهديها سبيل الرشاد. وقبل الفتى شفتيها

الباردتين ثم ذهبت. . . لقد كان طفلا حين ظن بأنها تؤثر ذراعيه القويتين!

(إلى هنا جاءت الفتاة لتجثو طوال الليل فوق هذا الصخر الجافي تبكي وتبتهل، فقد كانت: تحب الفتى حقا، ولكن العذراء رمت إليها من فوق الشموع الأربع واحتوتها بعينيها الحزينتين المفكرتين. وسريعاً ما امتزجت روح الفتاة بروحها. . . وما إن انبلج نور الفجر حتى عبرت البحيرة إلى الحيطان البيضاء دون أن ترى حبيبها مرة أخرى.

(ولعل الفتى - عندما انتهى الأمر - قد أصابه مس أو جنون. إذ خرج معلناً كرهه لله وللعالم. وانطلق في ذاك الطريق الأبيض الصغير إلى حيث نحن الآن جالسان.

(وهنا استل هذا الخنجر الذي ترى ثم طعن قلب العذراء وهو يتمتم بقسم خافت مبهم. . . ولهذا لن أدعك تلمسه.

وأومأ بلاجدن برأسه بينا صمت العجوز هنيهة ثم عاد يقول: (واختفى جيوفانا عن الناس يومين، ثم عاد فظهر دون أن تمحى سيماء الجنون عن وجهه. . . وهناك على شعب الحدور قابلته جنازة بيضاء. حقا لقد كانت جنازة فتاته. فأهطع إليها ولكنهم أوقفوه. لم يؤنبه أحد على ما أجترم؛ ولكن تنازع الناس حيال ذلك عاطفتان قويتان: خوف ورحمة.

(وكانت روزا قد ماتت في الدير جاثية على ركبتيها في نفس اللحظة التي طعن فيها جيوفانى صدر مريم. وقد أخبروه بعد مدة معدودة أن وجهها - حين ألفوها لدى الهيكل - كان يشبه وجه مريم إلى حد بعيد. ولم يكن لموتها من سبب معروف واضح، وإنما هو سر غاب عن أذهان البشر ودق عن إفهام الناس. ولقد أخبرته الراهبات أنها كانت إذ ذاك تبتهل إلى الله أن يمنحها من لدنه قوة.

(وتوقف الراهب عن الكلام، فبقى الرجلان صامتين برهة طويلة يصعدان النظر معاً في وجه جميل يشرف عليهما من فوق

شموع أربع. وخيم سكون قطعه بلاجدن بقوله:

- وماذا تظنه قد حدث بعد ذلك؟

- لا ادري!

واتصل السكون فوق رأسيهما، فعاد بلاجدن يقول وهو يمرس عينيه:

- وعلى أية حال فقد أدت الفتاة دين الله عند جيوفاني.

- فاجبه الراهب في هدوء:

- هكذا يخيل إلي يا سيدي... فإني أنا جيوفاني!...

هدية عيد الميلاد. . .

برت هارت

عيد الميلاد في (كلفورنيا) من أروع فصول السنة. . . فهو الفصل الذي تنحدر فيه المياه من جو السماء إلى أديم الأرض، فإذا به يهتز ويربو ويفيق من غفوة الشتاء، وإذا الأرض مجلوة مزهوة بما انبسط عليها من زهور الربيع وأقاحيه. . .

وكانت الشمس تسرب شعاعها خلال السحب المنعقدة - التي تتهادى أمام موكب الريح - فيلقى الروابي في روعة وجلال فإذا مظاهر الحياة قد تجمعت: الموت والحياة، والفناء والبعث، والألم والبهجة. . . نعم. . . فالروابي التي كان يطويها مطرف الموت والفناء قد زهت. . . وسرت نسمة الحياة تراودها، فإذا البعث والنشور يدب في أكنافها، وإذا البهجة والحبور تجول في أطرافها. . . وإذا الريح التي كانت تنوح في ثورتها تداعب براعم الأزهار وقد استقرت مكان الأوراق الذابلة الذاوية. . .

ربما كان هذا كله علة هذا الرونق الذي أحله عيد الميلاد في حجرة الاستقبال. . . والذي أكسب الحضور منظراً خلاباً فريداً وأكسب الأزاهر فتنة وجمالاً. . .

قال الطبيب وهو يدنو بكرسيه من النار: (والآن:.) ثم قلب طرفه في لطف ودماثة ولكن في حزم وثبات بين الوجوه الملتفة حوله. . . وقال:

- أود قبيل أن أمضي في قصتي. . . أن أحذركم من مقاطعتي بتلك الأسئلة الساذجة المضحكة. . . فعلى كل غلام منكم ألا يعبث برجله أو بذراعه. . . وإلا فسيكون جزاؤه الطرد والحرمان. . . أفتعدونني بذلك؟!)

فأجابته الجماعة في صوت واحد فيه غضاضة الطفولة ورنة الصبية - (أجل... يا سيدنا!)

فعاد الطبيب يقول في صوته الرقيق الحازم:

- (إذن عليكم بالسكون... (بوب)... دع رجالك. وارغب عن صليل هذا السيف الصغير... وستجلس (فلورا) جواري كالسيدة الصغيرة، وتكون في هدوئها وإصاختها السمع مثلاً يحتذيه باقي الجماعة... (تانج) اجلس كما يحلو لهواك وبغيتك، ولكن في هدوء وإصغاء... والآن. أديروا صنبور الغاز قليلاً لكي تستعر النار وتتوهج... وينبغي على كل صبي أن يجنح إلى الصمت... ومن يسبب أدنى ضوضاء، فلن يبقى بين جدران هذه الغرفة...)

وسادت إثر ذلك آونة من الصمت العميق... فأسند (بوب) سيفه إلى جانبه... وداعبت (فلورا) دميتها قليلاً، ثم أرقدتها وجلست جوار الطبيب... أما (فنج تانج) - ذلك الطفل الوثني الصغير الذي أتيح له أن يحضر مباهج (عيد الميلاد) - فقد ارتسمت على ثغره ابتسامة عذبة فيها حلاوة وفيها براءة.

وكانت الدقات التي تنبعث من الساعة الفرنسية المستقرة فوق المدفأة... تعكر صفو ذلك الهدوء الذي خلعته روعة (عيد الميلاد) على حجرة الجلوس حيث تناثرت اللعب، والعلب المصنوعة من خشب الأرز الطيب الرائحة... والأزهار الفياحة عطراً...

بدأ الطبيب يسرد قصته قائلاً:

(منذ أربع سنوات - في مثل هذا الوقت - حضرت حفلة (عيد الميلاد) في منزل صديق من أصدقائي المدرسين... وشملني شيء من المرح، إذ سيتاح لي أن أرى إبناً من أبنائه على الرغم من أنه في الثانية عشرة من عمره إلا أنه كان على مبلغ وافر من العبقرية والنبوغ... فقد حفظ من قصائد الشعر اللاتيني والإنجليزي ما لا أستطيع له حصراً...

كما كان في مقدوره أن يؤلف قصائد وأشعاراً رقيقة لها روعتها

ولها جمالها...

وليس بمقدوري أن أحكم على أشعاره، فما أنا ممن أوتوا القدرة على النقد، ولكن ثمة بعض النقاد أعجبوا بما أوتي من الموهبة الفائقة على نظم الشعر في مثل سنه المبكرة. وتنبأوا له بمستقبل زاهر في ساحة الشعر والأدب... بيد أن والده كان على الضد من ذلك: رجل حقائق وعمل لا رجل خيال وأدب...

كانت الحفلة مبهجة مرحة... وكان الأطفال قد تجمعوا من كل صوب ومكان... ووقف معهم ذلك الغلام - وهو في طوله مثل (بوبي)... وفي أدبه وخلقه مثل (فلورا) التي بجواري... كان الجميع يدعونه (روبرت)... أما صحته فكانت معتلة ضعيفة واهنة... وطالما شكا إليّ أبوه من قلة لعبه مع من هم في سنه من الصبية وتفضيله اللبث في البيت مغموراً بين الكتب والأوراق يطالع ويكتب...

وكان ثم (شجرة لعيد الميلاد) كشجرتنا هذه... وكثيراً ما ضحكنا في عبث ولهو مع الأطفال الذين راحوا يتسلمون هداياهم المعلقة في الشجرة... وشملنا جميعاً جو من المرح والصفو...

وبغتة ندت عن غلام صيحة فيها مزيج من العجب والطرب وقال: (هاك!! شيء لروبرت! فماذا أنتم قائلون؟!)

فراح يخمن كل منا:

- (قلم من الذهب.)
- (كتاب للشاعر ملتون...)
- (قاموس للقوافي...)

بيد أن الغلام قال على دهش منا:

- (ليس شيء من ذلك إنما هو!. طبل.)
- (ماذا؟!!)
- (طبل... وعليه اسم روبرت)!

فارتفعت صيحات الضحك من أفواهنا... فقد كانت دعابة

حقاً... وقال أحدنا: (هه... أرى أنك ستحدث في العالم دوياً هائلاً يا روبرت!.) وقال آخر (ما هذا الطبل إلا لوزن الشعر!) وترت الأقوال وتعددت فيها دعابة وفيها عبث... بيد أن روبرت أبى أن ينبس بكلمة... وشحب لون وجهه... وأطلق صيحة فيها حقد واضطراب، وبرح الغرفة... فأحس هؤلاء الساخرون شيئاً من التألم والتأنيب... وانهالت الأسئلة فيمن أتى بهذا الطبل... ولكن دون جدوى... ولم يعد (روبرت) إلى الغرفة ثانية تلك الليلة...

وضرب النسيان ستارة على هذه الحادثة فقد اشتعلت حرب العصيان الأهلية في الربيع التالي... وعينت في أحد الفيالق.

وفي طريقي إلى ساحة القتال مررت بالأستاذ المدرس... فكان أول سؤال - إبتدره به لساني - عن (روبرت)... فهز الأستاذ رأسه في حزن وألم! وقال:

- (ليس على ما يرام! فقد أصيب بانحراف ظل ملازمه منذ عيد الميلاد حينما رأيته... حالة غاية في الغرابة... ولكن اذهب فانظره لملك تستطيع أن تزيل عنه ما يعتريه!)

فذهبت من فوري إلى منزل الأستاذ حيث وجدت روبرت مضجعاً في مقعد طويل... وقد تناثرت ثم حوله كتبه وأوراقه وعلق الطبل فوق رأسه... وكان وجهه شاحباً ذابلاً... ولكن عينيه كانتا في بريق ولمعان...

ابتهج وسر حينما رآني... ولما علم بوجهتي... طفق يسألني كثيراً عن الحرب... وظننت أني بحديثي إليه قد سليته عن مرضه، غير أنه فجأة أمسك بيدي وقربني إليه قائلاً في صوت خفيض كالنبأة تسري في الفضاء.

- (سيدي الطبيب... أرجو ألا تسخر مني حينما أخبرك بعض الأشياء! إنك لتذكر ذلك الطبل...) وأشار إلى الطبل المعلق في الحائط فوق رأسه... (وتعلم كيف أتى إلى من حيث لا أدري ولا تدرون... فبعد بضعة أسابيع من عيد الميلاد وكان الطبل معلقاً

هكذا فوق رأسي. . . وكانت عيناي بين النعاس واليقظة. . . إذ يطرق أذني صوت قرعات خافتة تنبعث من الطبل ثم إذا بها تعلو وترتفع. . . ثم توالت وتتابعت سريعاً، ودوّى صوتها جليلاً رهيباً. . . حتى لكأنها ملأت البيت ضجة ودوياً. طرقت أذني ثانية عندما وافى الليل نصفه ولم أجرؤ على أن أنبئ أحداً بخبرها. . . ولكني كنت أسمعها كل ليلة إثر ذلك. . .

وانقطع صوته برهة. . . ولكنه لم يلبث أن عاد يقول في قلق واضطراب (أحياناً تكون القرعات خافتة هينة. . . وأحياناً تكون مرتفعة مدوّية. . . ولكنها ظلت سريعة متتابعة حتى كنت أخشى أن يسمعها أحد من أهل البيت فيسألني فلا أجد جواباً. . .

بيد أني أعتقد يا سيدي الطبيب، ونظر إليّ نظرة فيها ألم وفيها قلق (أعتقد. . . أن أحداً لم يسمعها سواي. . . إنها تأتيني من هذا الطبل مرتين في اليوم. . . عندما أكون غارقاً في القراءة أو الكتابة. . . أسمعها. . . فكأنها غاضبة حانقة في قرعها. . . وتعمل على أن تستلب عقلي من بين كتبي. . .).

وكانت عيناه تلمعان وتتألقان، وصدره بين ارتفاع وانخفاض، فحاولت أن أخبره أن هذا ليس إلا ضعفاً وإنهاكاً عقلياً وجسمانياً أدى إلى اضطراب في الحواس، كما يحدث لكثير من الناس. فأنصت إلى ما أقول، وعلى ثغره ابتسامة حزينة كأنه لا يعتقد ما أقول، ولكنه شكرني، ثم لم ألبث أن ودعته ورحلت، وقابلت الأستاذ في طريقي، فأوضحت له رأيي عن حالة ولده فقال:

إذن فهو يحتاج لهواء منعش، وجو رائق، ورياضة جميلة!

ولم يكن الأستاذ بالرجل السئ البغيض، ولكن كان كثير الألم والإشفاق لما يعتري ولده.

وغادرت المدينة في نفس ذلك اليوم، وكاد داعي النسيان أن يأتي على هذه الذكرى فيطويها ويمحوها، فقد انهمكت في تمريضي للجرحى، ومعالجتهم في مستشفيات القتال. . . لولا أن قدر لي أن

ألقى رجلاً عسكرياً، كان على صلة صداقة بالأستاذ فأخبرني أن (روبرت) أصيب بلوثة وخبال في عقله، وفي إحدى النوبات التي كانت كثيراً ما تعتريه، فر من المنزل، ولم يعثر له على أثر، وكان الخوف من أن يكون النهر قد طواه في أعماقه.

فاهتزت نفسي في فرق وروع لهذه الفاجعة، ولكن لم يقيض لي الله وقتاً أجلس فيه حزيناً لما أصاب (روبرت) الصغير.

ومضت الأيام بعد هذا النبأ، وإذ بفيلق من جيشنا قد أتى عليه الثوار، وفتكوا به في وحشية وجنون.

فنقلت من ساحتي إلى مستشفى هذا الفيلق لأعاون زملائي الأطباء في معالجة حياة هؤلاء المنكوبين والصرعى.

وعثرت برجل طويل القامة عملّس بتع، كان مثخناً بالجراح في فخذيه، ولكن رجاني أن أدعه وأنصرف إلى زملائه الذين هم أحوج منه بالعناية والرعاية، بيد أني لم أكترث لرجائه في بادئ الأمر، لأن هذه الرحمة وإنكار الذات سائدة شائعة بين رجال الجيش جميعاً، ولكنه ما لبث أن عاد يقول: (بالله أيها الطبيب دعني، فثمت غلام كان يقرع الطبل، غلام باسل جسور، يجود بأنفاسه الآن، فاذهب إليه وانظره لعلك مستطيع له علاجاً، لقد أنقذ هذا الغلام ببسالته وجسارته كثيراً من رجالنا، لقد أنقذ شرف فيلقنا بما أتاه من جليل الأعمال هذا الصباح فأنقذه بالله أيها الطبيب!).

أثرت في نفسي روح هذا الرجل وسجيته أكثر من منظر هؤلاء الجرحى وهم مبعثرون في كل مكان يئنون ويصيحون في حشرجة ورحير مما بهم من ألم وعذاب. فمضيت بينهم إلى حيث كان ذلك الغلام - قارع الطبل - راقداً وجواره طبله ملقى. . . فلمحت وجهه فإذا به (روبرت).

ولم أكن في حاجة إلى وصف ذلك الرجل الجريح ولا إلى البرودة التي سرت إلى جبينه. . . لكي أعرف أن ليس ثمة من أمل في حياته - ناديته باسمه؛ ففتح عينيه وعرفني. . . وقال في صوت

هامس فيه ضعف يسري (إني لمسرور بلقائك. . . ولكن أحسب أن القضاء حم ولا مفر من الحمام)، فلم أجد في نفسي القدرة على أن أكذبه القول، ولا القدرة على أن أخبره بالحقيقة، فأمسكت بيده وضغطت عليها في رفق ولطف أحثه على التجلد، وتابع حديثه في صوت أوهن وأضعف.

(. . . ولكنك سترى والدي، فاسأله أن يغفر لي، ويصفح عني، وقد يلام كل إنسان سواي، لقد تقضي وقت طويل قبل أن أدرك علة إرسال هذا الطبل لي كهدية في عيد الميلاد! وكذلك علة هذا النداء الذي ظل ينبعث من دقاته يدعوني ويدعوني. . . وأخيراً عرفت ما كانت تدعوني إليه، وإني لراض بما فعلت، فهذا تحدثني نفسي: خبّروالدي أن هذا أفضل من لبثي معه، أنغص عليه عيشه، وأكدر عليه صفو حياته، لما يعتريني من شذوذ واضطراب ومرض).

وتوقف حديثه هنيهة، ثم إذا به يمسك يدي ويقول: (انصت!). . . فأصخت السمع، ولكن لم يطرق أذني سوى أنات الجرحى وزحير المرضى، فقال في صوت خافت: (الطبل! ألا تسمعه؟ إنه يدعوني)، ومد راحته إلى حيث ألقى طبله كأنه يود لو عانقه، وعاد يقول: (انصت! أفلا تسمع دقات الطبل وهي تنبعث في رهبة وجلال؟! ها هي الصفوف تنتظم. . . أفلا ترى الحراب والأسنة وهي تتألق تحت شعاع الشمس؟! إن وجوههم مشرقة طلقة يعلوها البشر والرضا. . مه! ها هو القائد إنه ينظر إلي وعلى ثغره بسمة الرضا والبر!) وانطبقت شفتاه، وارتخت أهدابه على عينيه، وسكن سكنته الأبدية!!

القلب الواشي
إدجار ألان بو

حقا، لقد كنت عصبيا، ولا زلت في حالة عصبية مخيفة. لكن. لماذا تقول إني مجنون؟ إن الداء قد أرهف حواسي - لم يدمرها - ولم يضعفها، ولا سيما حاسة السمع الحادة. لقد سمعت أصوات من في الأرض ومن في السماء، حتى من في الجحيم. فكيف إذن أكوان مجنونا؟ أصغ لي، ثم لاحظ كيف أقص عليك القصة بحذافيرها وأنا في تمام الصحة وفي غاية الهدوء.

إنه لمن المستحيل أن أعير كيف أثرت تلك الفكرة على عقلي بادئ ذي بدء. ولكنها أصبحت تلازمني ليلا ونهارا. أما عن الدافع فلقد كنت أحب ذلك الكهل. إنه لم يخطئ في حقي البتة، ولم يوجه إلي أية إهانة ولم أكن أرغب في ماله. ولكن عينه هي السبب، نعم كانت هي السبب. إنها تشبه عين الطائر. . عين العقاب. كانت زرقاء تغطيها طبقة شفافة ومعه. وكنت في كل مرة تلتقي عيناي بها، تثور ثائرتي، ويهيج هائجي. ولهذا قررت أن أنهي حياة الكهل، وبذلك أتخلص من تلك العين إلى الأبد. هذا هو الدافع. إنك تتخيلني مجنونا. ولكن ليتك رأيتني أقوم بالعمل وأنا في كامل وعي. ليتك شاهدتني وأنا أنجزه في حيطة وحذر. كنت أشفق على الكهل في أيامه الأخيرة أكثر من إشفاقي عليه في أيامه السابقة. وكنت في منتصف كل ليلة أدير أكرة بابه وافتحه في هدوء. وياله من هدوء! ثم أطل برأسي عليه أن أقلل من ضوء المصباح تدريجيا حتى يشع نوره داخل الغرفة. كنت أحرك الباب في بطء حتى لا أزعج نوم الكهل، فيستغرق ذلك مني وقتا طويلا. هل يمكن لرجل مجنون أن يكون عاقلا إلى هذا الحد؟ فإذا ما أطللت برأسي داخل

الغرفة، أزيد من ضوء المصباح باحتراس، بكل احتراس، فأسمح لشعاعة ضئيلة تسقط على عين العقاب. كنت أفعل ذلك سبع ليال متتالية، ولكني كنت أجد العين دائما مغمضة ولذلك كان من المستحيل علي أن أنجز عملي. لأنه لم يكن الكهل هو الذي يثيرني، بل كانت عينه الشريرة. وكنت في كل صباح، عندما تشرق الغزالة، أذهب إليه في شجاعة وأتحدث معه في جرأة، وأدعوه باسمه في لهجة ودية وأسأله كيف قضى ليلته. وهكذا ترى أنه لم يشك فيما كان يحدث كل ليلة وهو نائم ما لم يكن بعيد النظر!

وأقبلت الليلة الثامنة، وكنت أكثر حذرا في فتح الباب. كنت أسيطر على شعور الانتصار في قوة عجيبة وأنا أفكر في ذلك الكهل الذي يجهل ما الذي أفعله وما الذي أفكر فيه. وابتسمت ثم ضحكت. وسمعت حركة في الفراش. لعله سمعني أضحك فقام فزعا ولعلك اعتقدت أني تراجعت. ولكن. . كلا، فقد كانت الغرفة حالكة الظلام ولا يستطيع رؤيتي وأنا أفتح الباب. لذلك ظللت أدفعه في انتظام. وأطللت برأسي. كنت على وشك إضاءة المصباح عندما انزلقت يدي فأحدثت صوتا، وهبَّ الكهل من فراشه صائحا (من هناك؟) ظللت ساكنا ولم أفه بكلمة. ومكثت ساعة كاملة دون أن تتحرك عضلة في جسمي. ولم أسمعه يرقد ثانية. كان لا يزال جالسا في فراشه يتسمع مثلما كنت أتسمع ليلة إثر أخرى.

ثم طرق أذني أنين خافت، أنين من الرعب المميت. لم يكن أنين ألم أو شجن. . . كلا، كان صوتا خافتا مخنوقا يرتفع من أعماق روح امتلأت رعبا ووجلا. وكنت أعرف ذلك الصوت جيدا، وأدرك ما يشعر به الكهل ولذلك كنت أشفق عليه وأنا أقهقه من أعماق قلبي! وتصورته راقدا مستيقظا تزداد مخاوفه كلما تقلب على الفراش، ويحاول أن يتغلب عليها وهو يوهم نفسه بأن ما حدث مجرد أوهام. وتخيلته يتحدث إلى نفسه قائلا (إنه حفيف الريح داخل المدخنة - إنه فأر صغير يعبر الغرفة) نعم، كان يحاول أن

يسري عن نفسه بشتى الافتراضات دون طائل، دون جدوى، ألأن الموت كان يقترب منه رويدا رويداً ويطارده بشبحه الأسود، ويحيط به من كل جانب. وكان تأثير ذلك الشبح عليه هو الذي جعله يدرك وجود داخل غرفته دون أن يراني او يسمعني. وانتظرت وقتا طويلا بصبر عجيب دون أن أسمعه يرقد. ثم عزمت على إضاءة المصباح قليلا. قليلا جدا، وخرجت شعاعة واحد ة. . شعاعه كأنها خيط العنكبوت. خرجت من فتحة المصباح فتسقطت على عين العقاب. كانت مفتوحة تماما، فصف بي غضبي من رؤيتها، وكانت واضحة أمامي بلونها الأزرق وغلالتها الشفافة. فأصابتني رعدة شديدة تغلغلتفي ذات نفسي حتى وصلت إبل عظامي ولم أر من وجه الكهل أو جسمه سواها، وكأنها وجهت الشعاعة بشعور غريزي لا إرادي إلى تلك العين الملعونة بالذات. ألم أخبرك أن ما تعتقده جنونا ليس إلا إرهاف الحواس؟ ثم وصل إلى سمعي صوت خافت سريع التردد. كأنه صوت ساعة مغلقة بالقطن. فعرفت ذلك الصوت. إنه نبضات قلب الكهل، فاستشطت غضبا وامتلأ قلبي غيظا وحقدا. ومع ذلك ظللت ساكناً وحبست أنفاسي. وأمسكت بالمصباح دون أن أتحرك وقد سلطت الشعاعة على عينه. كانت ضربات قلبه تزداد وترتفع صوتها في سرعة غريبة. واستنتجت أن الكهل قد وصل رعبه إلى أقصاه. وارتفع الصوت، وتعالى. ألم أخبرك أنني عصبي؟ نعم لقد كنت في حالة عصبية شديدة. وولد ذلك الصوت في نفسي، في ذلك الوقت المتأخر من الليل، وبين ذلك السكون المطبق الموحش، ولد في شعورا من الرعب لا يقاوم. ومع ذلك ظللت صامتا ساكنا. وكانت الضربات تتعالى ثم تتعالى حتى خلت أن قبله على وشك الانفجار. ثم تملكتني ثورة جديدة! ألا يجوزأن يسمع الجيران ذلك الصوت؟ إذن فقد حانت ساعة الكهل!

وصحت صيحة مدوية، وأضأت المصباح ثم قفزت إليه. فصرخ

صرخة واحدة! وفي لحظة كنت قد سحبته إلى الأرض وألقيت فوقه الفراش. ثم ابتسمت في رضاء. لقد أنجزت أخيرا مهمتي. لقد مات الكهل. وأزحت الفراش وفحصت الجثة. نعم كان ميتا كالحجر. ووضعت يدي على موضع قلبه وتركتها لحظة. لم يكن هناك نبض. لقد مات حقا، ولن تعود عينه تضايقني بعد الآن. إذا كنت لا تزال تظن أني مجنون، فإن ما قمت به من احتياطات وما فعلته لإخفاء الجثة سوف يبدد هذا الظن. كان الليل على وشط الرحيل فبذلت همة ونشاطا، وقمت بإنجاز العمل في سكون. قطعت أطراف الجثة، ثم انتزعت ثلاثة ألواح خشبية من أرض الغرفة، وحفرت في موضعها، ثم أخفيت الجثة فيها، وأخيرا وضعت الألواح في مكانها. وعادت الغرفة إلى ما كانت عليه.

كانت الساعة قد أشرفت على الرابعة عندما انتهيت من كل شئ، وكان الظلام لا يزال مخيما. وعندنا دقت الساعة دقاتها سمعت صوت طرق على باب الدار، فنزلت أفتح بقلب مطمئن - فماذا يخيفني الآن؟ وجاء ثلاثة من رجال الشرطة، وشرحوا لي أن تحدا ابلغهم سماع صرخة صادرة من الدار. وابتسمت، ما الذي يخيفني الآن؟ ورحبت بهم، وقلت إن الصرخة صدرت مني أثناء نومي وأنا أحلم. وادعيت أن الكهل على سفر. وطلبت منهم أن يفتشوا الدار. . يبحثونها جيدا. وأخيرا أوصلتهم إلى غرفة الكهل. وأطلعتهم على ثروته دون أن يمسها أحد. كنت واثقا من نفسي كل الثقة، ولذلك أحضرت إليهم مقاعد وأجلستهم في الغرفة حتى يستريحوا من عناء البحث. وجلست أنا المنتصر في وقاحة على أحد المقاعد بعد أن وضعته على المكان الذي ترقد فيه الضحية. وكنت أجيب على أسئلتهم في سرور. وجعلوا يتحدثون ويثرثرون وأنا أستمع إليهم في رضاء. ولكن لم تمض فترة طويلة حتى شحب وجهي، وآلمني رأسي وسمعت طنينا في أدني، فتمنيت عندئذ أن يرحلوا، ولكنهم ظلوا جالسين يتجاذبون الحديث، وعلا الطنين

وازداد وضوحا، واستمر يتعالى ويتعالى. وارتفعت عقيرتي بالحديث حتى أتخلص من هذا الشعور المؤلم، ولكنالطنين زاد وضوحا، فتيقنت أخيرا أنه لم يكن مبعثه أدني. ولم يكن هناك أدنى شك في أني كنت شاحب الوجه. ولذلك طفقت أتكلم في طلاقة وبصوت حاد ومع ذلك ارتفع الطنين. ما الذي أستطيع فعله؟ لقد كان صوتا مروعا كأنه (صوت ساعة مغلقة في قطن!) وأسرعت أنفاسي ونظرت إلى رجال الشرطة فظهر لي أنهم لم يسمعوا ذلك الطنين. وجعلت أهذي في حديثي وأثرثر وازداد صوتي حدة. ولكن الطنين كان يرتفع في انتظام. وقمت وتجادلت في شتى المواضيع التافهة بصوت عال وإيماءات متعددة، ولكن ذلك الطنين كان يطغى على صوتي. وسألت نفسي لماذا لا يرحلون؟ وذرعت الأرض جيئة وذهابا بخطى ثقيلة. ولكن الصوت ذلك الصوت! أواه. . يا الهيمال الذي أستطيع عمله؟ وعلى مرجل غضبي. وتمتمت وأقسمت وضغطت بالمعقد على الأرض وصررت به على الألواح الخشبية. ولكن ذلك الصوت. . كان لا يزال يرتفع تدريجيا. . وأستمريتعالى في شدة. . في شدة. . في شدة! وما زال الرجال يتحدثون ويمزحون ويتضاحكون. هل من المحتمل أنهم لا يسمعون شيئا! يا الهي! كلا. . كلا! لا بد أنهم سمعوه! واشتبهوا! وعرفوا! إنهم يسخرون من وعي! ذلك ما ظننته وذلك ما أظنه. وما أفظعن من عذاب! وما أبشعها من سخرية! إني لا أستطيعاحتمال هذه الابتسامات المنافقة بعد ذلك! وشعرت أنه يجب على أن اصرخ. . ولكن هذا الصوت كان يزداد وضوحا. . وصرخت فيهم قائلا (أيها الأشرار انفضوا. . إني أعترف بارتكابي الجرم! انزعوا الألواح هنا! هنا! هذا الصوت هو خفقان قلبه. . . قلبه الواشي المختبئ هناك!).

الأقدار

ن. هاوتورن

أن معرفتنا الحوادث التي تؤثر على حياتنا ومصيرنا في الواقع معرفة طفيفة ضئيلة فهناك من هذه - الحوادث - إذا شئت أن تسميه حوادث - ما يدنو منا، ثم ينزح عنا، دون أن يكون له أي أثر على أنفسنا، أو يفشى قربه، أو يلقي ضوءاً أو ظلاً عن وجوده. وهذا ما حدث لدافيد سوان.

نحن لا يهمنا من حياة دافيد سوان سوى تلك التي تربطه بها منذ بلوغه العشرين من العمر عندما كان قادماً من مسقط رأسه في طريقه إلى مدينة بوسطون ليعمل في حانوت عمه. ويكفي أن نعرف أنه ولد في نيوها مشاير من أبوين محترمين، وأن ثقافته عادية تزيدها دراسة عام في أكاديمية جليمانتون. وكان يشعر بالجهد وعناء السير ووطأة القيظ بعد أن قطع شوطاً كبيراً من الطريق منذ شروق الشمس حتى ظهر يوم من أيام الصيف الحارة. فعزم على أن يستريح في أقرب مكان تكتنفه الظلال وينتظر قدوم مركبة السفر وكأنما تهيأ له هذا المكان، فسرعان ما بدت أشجار باسقة حول خلاء يتوسطه نبع من الماء العذب الدافق فطبع قبلة على صفحته من شفتيه الظمآنتين ثم استلقى على الأرض وقد توسد لفافة تحوي ملابسه الداخلية. كانت الشمس تجاهد في فتح ثغرة بين الأفنان حتى تصل إليه، وإنجاب ستر ذلك الغبار المتصاعد من الطريق بعد أن هطل المطر في الليلة الماضية. وارتاح الشاب لتلك الحشائش التي يرقد عليها وكأنه نائم على فراش وثير. وتمتم النبع يهمس بجواره، وتأرجحت الأفنان تحت السماء الزرقاء. ثم استولى عليه نوم عميق تتخلله أحلام عابرة لا يهمنا أمرها، فكل اهتمامنا

موجه إلى ما يحدث بعيداً عن أحلامه.

كان الناس غادين رائحين على طول الطريق راكبين أو مترجلين فيمرون عليه وهو راقد تحت سلطان الكرى في خلوته وقد ألقت عليه الأشجار ظلالها. وكان منهم من لا يلتفت يمنة أو يسرة فلا يدري وجود دافيد، ومنهم من يرمقه وهو يبتعد عنه سارحاً في أفكاره، ومنهم من يضحك عندما يشاهده راقداً يغط في نومه، ومنهم أولئك الذين امتلأت قلوبهم بالبغضاء، فيبعثون إليه فيضاً من كلمات الضغينة والحقد.

وأطلت أرملة متوسطة العمر عليه، ثم حدثت نفسها قائلة: إنه يبدو فاتناً في نومه. ورآه مدرس وقور فعزم على أن يزج بالشاب المسكين في موضوع محاضرته التي سيلقيها ذلك المساء، فيشبه حاله بحال سكير أفرط في الشرب حتى نام بجوار الطريق. كانت كل هذه الخواطر بما فيها ذم ومدح، وسرور وغضب، وإعجاب واحتقار، لا تهم دافيد في شيء. فقد كان بمنأى عنها وهو غارق في نومه.

وأقبلت مركبة يجرها زوج من الجياد القوية سرعان ما وقف أمام ملجأ دافيد. كانت إحدى عجلاتها قد انزلقت بعيداً عنها، مما روع التاجر المسافر وزوجه قليلاً، فترجلا عن المركبة، إلى إن يتم استبدال عجلة بأخرى، وقصد إلى ملجأ دافيد تحت الأشجار التي تظلله. وتمتم النبع المتفجر يشكو تطفل الدخيلين، وتأثر الهدوء الشامل الذي كان يرين على المكان، فعادا أدراجهما في خفة وسكون، خشية أن يوقظا النائم. وهمس السيد الكهل قائلاً ما اعمق نومه! انظري كيف يتنفس في هدوء. وددت لو أنام مثل هذا النوم في مقابل تنازلي عن نصف ثروتي. أنه الصحة والسعادة وصفاء الضمير.

فقالت السيدة - ذلك بجانب الفتوة والشباب. إن الرجل الكهل وإن كان صحيح البدن لا ينام مثله.

وكان التاجر وزوجه كلما أطالا النظر إلى دافيد، ازداد اهتمامهما به، وهو نائم في ذلك المكان بجوار الطريق تحنو عليه تلك الأشجار، وكأنه يرقد في مسكن خاص لا ينازعه فيه منازع، وقد انسدلت فوقه ستائر فاخرة من الظلال، وأقبلت الشمس وقد وجدت أشعتها فرجة تنفذ منها خلال الأفنان، أقبلت تقبل وجهه. وشعرت السيدة بحنان الأمومة يطغي على قلبها، فأحنت فنناً تظلل به وجه الشاب، ثم همست تقول لزوجها.

- يبدو أن العناية الإلهية قد وضعته في طريقنا، وقادتنا إليه. أني أرى شبهاً بينه وبين ولدنا الراحل. إلا نوقظه؟

فتردد التاجر هنيهة ثم قال - لماذا؟ إننا لا ندري شيئاً عن أخلاقه.

فأجابت السيدة - إلا ترى هذه الملامح الطيبة؟! ألا تلاحظ هذا النوم البريء؟!

كانت همساتها تردد في المكان، ومع ذلك لم تسرع دقات قلب دافيد، ولم تهر أنفاسه، ولم تشف ملامحه عن أي اهتمام لما يدور حوله، ولم يشعر (بالحظ) فوقه وعلى أهبة الاستعداد لأن يغمره بالذهب. لقد فقد ذلك التاجر وحيده، ولم يعد له وريث سوى قريب بعيد لا يميل إليه، ولا تعجبه أخلاقه. ولهذا كان دافيد على قاب قوسين أو أدنى من الثروة والغنى.

ورددت السيدة تحاول إقناع زوجها - إلا نوقظه؟

وهنا سمع صوت السائق وراءهما يقول - أن المركبة على أهبة الرحيل.

فجفل الزوجان، واحمر وجههما، ثم أسرعا يبتعدان عن النائم وهما يعجبان ويتساءلان كيف خطر لهما أن يحاولا إيقاظ هذا الشاب. وتهالك التاجر على مقعد المركبة ثم سرحت به أفكاره بعيداً عن دافيد، ودفعته إلى الاهتمام بمشروع ملجأ للعاطلين.

ولم تكد المركبة تبتعد حتى أقبلت فتاة حسناء في خطى

رشيقة، تشف عن قلب صغير يرقص في صدرها. ولعل ابتهاجها ومرحها وحركاتها هي التي دعت (وهل هناك ضرر من قولي؟!) إلى تهدل جوربها الحرير (أن كان حريراً؟) فانتحت جانباً بجوار المكان الذي يرقد فيه الشاب، وانحنت تحاول تثبيت جوربها. وسرعان ما علا وجهها حمرة خجل كاحمرار الوردة عندما أبصرت ذلك النائم المستلقي بجوار النبع، وهمت بالهرب في هدوء عندما لاحظت خطراً يهدد الشاب. كانت تحوم فوق رأسه نحلة ضخمة، وتدور حول المكان في طنين عال، فتارة تطير بين الأفنان، وتارة تندفع مخترقة أشعة الشمس، ثم تختفي في الظلال، وأخيراً حطت على جفن الشاب. وكانت الفتاة تعرف ما تسببه لذعة النحلة من ضرر فهاجمتها بمنديلها ونحتها عنه. ثم وقفت تلهث، وقد بدت حمرة الخجل على وجنتيها، وجعلت تختلس النظر إلى ذلك الشاب الغريب، وتمتمت تحدث نفسها ولم تزل حمرة الخجل تعلو وجنتيها (كم هو جميل الطلعة!).

كيف لم يساوره أثناء نومه حلم سعيد، حلم يستطيع فيه أن يلاحظ هذه الفتاة بين أبطال حلمه؟ ولماذا لم تشرق ابتسامة ترحيب على وجهه؟ لقد قدمت إليه تلك العذراء التي وافقت روحها روحه، والتي كان يتوق إلى رؤيتها، ويصبو إلى لقائها. إنها هي الوحيدة التي يتمنى أن يحبها الحب الفريد الكامل، وهو الوحيد الذي يستطيع أن يتربع في أعماق قلبها. وهاهي ذي الآن قد انعكست صورتها على صفحة ماء النبع بجواره، تلك التي ستختفي عن أنظاره إلى الأبد إذا لم يستيقظ ويرها.

وتمتمت الفتاة قائلة ما اعمق نومه!

ثم عادت أدراجها وقد ثقلت خطواتها. كان والدها تاجراً ريفياً ناجحاً، وكان يبحث في ذلك الوقت عن شاب يساعده في أعماله ويشاركه في تجارته. وهكذا اقترب (الحب) من دافيد كما اقترب منه (يلاحظ) دون إن يدري عنه شيئاً.

وابتعدت الفتاة عن المكان عندما أقبل رجلان واقتحما الخلوة. بوجهين قاتمين وملابس رثة قذرة. كانا من أولئك المتشردين الذين يتعيشون على ما يرسله لهم الشيطان. وهاهما قد أقبلا لاقتسام ما ربحاه من المقامرة. وإذ بهما يشاهدان الشاب وهو نائم فهمس أحدهما إلى الأخر قائلا - إلا ترى تلك اللفافة التي تحت رأسه؟.

فأومأ الآخر بإيجاب، وغمز بعينه، ثم نظر شزراً. فقال الأول - أراهن على قدح من الخمر أن لم يكن هذا الشخص يملك محفظة عامرة بالأوراق المالية أو يخفي نقوده الفضية في مخبأ داخل هذه اللفافة، ذلك إذا لم نجدها في جيوب سراويله.

فقال الآخر - وإذا ما استيقظ؟.

فأشار زميله إلى مقبض خنجره المثبت داخل سترته، فتمتم الشقي الثاني قائلا - هذا يكفي!.

واقترب من النائم، وسدد أحدهما الخنجر صوب قلبه، فجعل الآخر يبحث في ثنايا اللفافة التي كان يتوسدها. وكانت ملامحهما تنطق بالشر والجريمة والخوف وهما منحنيان فوق ضحيتهما. حتى ليكاد أن يخيل إلى الشاب - إذا ما استيقظ ورآهما - انهما من الشياطين. ولو كانا قد القيا نظرة إلى صورتيهما المنعكستين على صفحة ماء النبع، لما عرفا نفسيهما وهما في هاتين الصورتين البشعتين. ولكن الشاب كان نائماً في هدوء لم يعهده من قبل.

وهمس أحدهما قائلا - يجب أن أحرك هذه اللفافة.

وتمتم الآخر - إذا ما تحرك سأقضي عليه.

وأقبل فجأة كلب يشم الأرض تحت الأشجار ثم القي نظرة فاحصة على الشقيين، وأخيراً عاد أدراجه.

فقال أحدهما - لن نستطيع عمل شيء بعد ذلك. إن صاحب الكلب بالقرب منه.

فقال الآخر إذاً دعنا نشرب ثم نرحل.

وأعاد الرجل خنجره إلى طيات ثيابه، ثم أخرج قارورة من

الشراب، وجعل ينهل منها هو وزميله وأخيراً نزحا عن المكان وهما يضحكان. وبعد ساعات كانا نسيا ذلك الشاب غير مدركين أن الملك الذي يدون ما جرى من حوادث قد سطر في صفحتها إثماً ضد روحيهما، إثماً دائماً بدوام الخلود. أما دافيد فكان لا يزال غارقاً في سبات هادئ فلم يشعر بشبح الموت وهو يجثم فوقه، ولا بضياء الحياة الجديدة التي منحت له عندما أنسحب ذلك الشبح. ونام ملء جفونه نوماً أبعد عنه الجهد والتعب. وأخيراً أخذ يتململ وتحركت شفتاه ثم تمتم وكأنه يتحدث مع أطياف أحلامه النهارية. وسرعان ما استيقظ عندما سمع صليل عجلات مركبة السفر وهي تنهب الطريق مقبلة نحوه. فنظر إليها ثم صاح - أيها السائق. أتأخذ معك مسافرا؟.

فأجاب السائق - أصعد - فهناك مكان في أعلى المركبة. وصعد الشاب مغتبطاً وسارت المركبة صوب بوسطون. ولم يلق دافيد نظرة على ذلك الببغ بما جلبه له من أحلام متقلبة. ولم يعرف أن شبح (الثروة) قد ألقى ظله الذهبي على مياهه، ولم يدرك أن ملك (الحب) قد تنهد في هدوء واختلط صوته بصوت أمواجه، ولم يشعر أن شبح الموت كان على وشك أن يصبغ تلك المياه بدمه. حدث كل هذا في ذلك الظرف الوجيز من الزمان الذي كان فيه نائماً؛ فنحن في نومنا لا نشعر ولا نسمع وقع خطوات الحوادث وهي تمر علينا مراً. أليس في استطاعة قوة إلهية مهيمنة أن تجعلنا قادرين على التنبؤ - ولو بقدر بسيط - بتلك الحوادث الخفية الفجائية التي تلقى بنفسها في طريقنا؟

المترونوم
اوغست درلث

عندما استلقت على الفراش، ولفها الظلام الخفي اللطيف بردائه، نضت شفتاها عن ابتسامة جمعت فيها كل ما تشعربه من الراحة بانتهاء الجنازة أخيراً دون أن يشك أحد في أنها والصبي لم يسقطا عرضاً في النهر، أويخطرعلى بال أحد أنها كانت تستطيع أن تنقذ ابن زوجها لو أرادت. وهاهي ذي لا تزال تسمع كلماتهم (أوه، مسكينة السيدة فارل، ما أفظع ما تشعريه) تسمعها ترن خافته وعلى بعد سحيق، في ظلام الليل المدلهم.

إن ما شعرت به من تقريع الضمير عندما غاص الطفل في أليم واختفى تحت سطح الماء للمرة الأخيرة، وعندما رقدت على الشاطئ منهوكة القوى، قد تلاشى منذ زمن طويل. ولم تعد تفكر كيف ارتكبت ما ارتكبته - بل لقد أقنعت نفسها بأن ضفة النهر قد انهارت قضاء وقدراً، وتناست التربة المتداعية، والماء العميق، والتيار الجارف.

وتحرك زوجها في الحجرة المجاورة. أنه لم يشتبه في شيء لقد قال لها وقد لاحت على وجهه سمات الحزن (لم يبق لي الآن سواك) وما أصعب تلك الأيام القلائل الأولى التي مرت عليها. بيد أن اختفاء جيم نهائياً في غياهب القبرقد قلل الشكوك الطفيفة التي انتابتها.

ومع ذلك، كان من الصعب عليها تصور ما اقترفته. لابد أن منشأه نزوة طارئة. بيد أن نفورها من الصبي وحقدها عليه بسبب الشبه الذي بينه وبين والدته هو الذي دفعها إلى ذلك دفعا، وذلك المترونوم! الطفل له من العمر ثماني سنوات أن ينسى مثل هذه الأشياء الصبيانية. لوكان يعزف على البيانو لاختلاف الأمر. ولكنه

وهو على هذه الحال، كلا، كلا - كان ذلك كثيراً عليها. أن أعصابها لم تعد تحتمله يوماً آخر. ثم عندما أخفت المترونوم. أثار غضبها بإنشاده تلك الأغنية الصغيرة السخيفة التي سمع والترداموش يغنيها عند شرحه سيمفونية المترونوم لبتهوفن، في صباح أحد أيام الجمع ببرنامج الأطفال بالإذاعة. إن كلماتها، تلك الكلمات الصبيانية التي بعث بها بتهوفن إلى مخترع المترونوم، كانت تتردد في خاطرها، وترن في شكل مثير في أركان ذاكرتها

كيف حالك كيف حالك كيف حالك

يا عزيزي يا عزيزي السيد ملزو

أو ما أشبه ذلك، فإنها لم تكن واثقة من الكلمات، تلك التي تثابر على التردد في ذاكرتها منذ بدء عزف الجزء الثاني من السيموفنية، وتقرع كالمترونوم تك، تك، تك، بلا نهاية. ومهما يكن من شيء، فإن المترونوم والأغنية قد ركزا فيها شعور البغضاء نحو ابن زوجة فار الأولى.

وحاولت أن تنبذ الأغنية من ذاكرتها. وفجأة، أخذت تتساءل: ترى أين أخفت المترونوم؟ كان في الواقع لطيف الشكل حديث الطراز، ذا قاعدة فضية ثقيلة، وثقل صغير فوق بندول من الصلب ممتد إلى أعلى أمام اللوحة الفضية المنحنية. إنها لم تستلم لأولى نزواتها فتحطمه، فقد كانت تظن أنها ستصنع منه حلية جميلة بعد ما يرحل جيمي، ولو أنه كان يخص والدته. ثم فكرت في ما رجوت، لابد وأن تكون مسرورة لأنها بعثت بجيمي إليها.

ألا يجوز أنها وضعت المترونوم في أ؛ د أرفف خزانة ملابسها. ربما. . . كان من الغريب عليها ألا تذكر شيئاً. ورقدت تفكر فيه. كم يكون جذاباً عندما تضعه على البيانو الكبير، حلية فريدة قائمة عليه، فضة تضارب سواد البيانو. وعلى حين غرة، اقتحم صوت المترونوم تفكيرها. ما أغرب ذلك! إنها تسمع دقاته الآن في الوقت الذي تتمثله في خاطرها! وبدا الصوت في غاية الوضوح. تك - تك،

تك - تك - تك - تك -. وحاولت دون جدوى التأكد من مصدرها. كان يبدو أنه يزداد دويا وضجيجا ثم يتلاشى. وكان ذلك غريباً عليها. وفكرت، أنه لم يسبق لها أن سمعته كما تسمعه الآن، حتى في الوقت الذي كان جيمي يمزح معها فيسمعها دقاته. وجعلت تصغي في انتباه.

وفجأة، خطر لها ما بعث القشعريرة في جسدها، وكنم أنفاسها لحظة، ألم تخبئ المترونوم بعد أن أعطاه لها جيمي لتملأه اجل إنها فعلت ذلك. ما لم تكن قد خانتها ذاكرتها إذاً، أنه لا يستطيع أن يدق الآن، لأنه فارغ، لم يملأ بعد. وسرعان ما تساءلت: ألا يكون أرنولد قد وجده وملأه على سبيل المزاح، ثم جعله يتحرك في هذا الوقت؟ وألقت بنظرة على ساعة.

معصمها. كان الوقت قد قارب الوحدة. أنها لا تعتقد أن أر نولد قادر على مثل هذا المزاح، فهو لابد مخبرها عن وجوده فيقول لها (انظري. لقد ظننت أنك أخبرتني بأن جيمي قد فقده. وهاأنذا قد عثرت عليه فوق أحد أرففك. ومن غير المحتمل أن يكون قد وضع هناك من تلقاء نفسه) وعاد إليها تفكيرها في أنها قد خبأته في مكان بعيداً عن متناول يد جيمي. ثم أصغت: تك - تك - تك - تك - تك - تك. وحدثت نفسها قائلة:

أسمعه أرنولد؟ إن ذلك بعيد الاحتمال، فهو دائماً ثقيل النوم

وترددت هنيهة قبل أن تقوم وتبحث عن مصباحها الكهربائي في الظلام. ثم توجهت إلى خزانة ملابسها وفتحت الباب، ومدت يدها الممسكة بالمصباح تحترق الظلام الدامس، ثم أصغت. كلا، لم يكن المترونوم هناك. ومع ذلك، لم تتمالك من جذب صندوق القبعات جانباً حتى تتأكد. فطالما أخفت بعض الأشياء هناك. وأخيراً انسحبت من الخزانة ووقفت مستندة على بابها المغلق، وقطبت بين حاجبيها في غضب: يا الهي! أكتب عليها أن تسمع هذه الدقات الجهنمية حتى بعد موت جيمي؟ وتحركت في عزم صوب

باب حجرتها. وفجأة صدم عقلها صوت جديد. هنالك شخص يسيرعلى بعد من الباب في ناحية ما، يمشي في خطى خفيفة خافتة.

بطبيعة الحال، كان تفكيرها منصباً بادئ ذي بدء على أرنولد، وفي الوقت الذي انبعث فيه تفكيرها سمعت صرير فراش زوجها. وودت لو اعتقدت أن الخادم أو الطاهية قد عادت إلى الدارلسبب ما. ولكنها لم تهضم هذه الفكرة السخيفة في عودة أحدهما إلى الدار في ذلك الوقت المتأخر من الليل ولو لأي سبب. وليس من المعقول أن يكون قد اقتحم الدارلصوص.

وترددت في وضع يدها على مقبض الباب. وأخيراً فتحته شبه غاضبة وتطلعت إلى الهو، وقد أمسكت بمصباحها وصوبته. لم يكن هناك أحد. ومع ذلك؛ ودت لو رأت أحداً هناك. ما أسخف تفكيرها! وتملكتها ثورة جامحة. وفي نفس اللحظة سمعت وقع الأقدام مره أخرى، خفيفة بعيدة، تبدو خافته الصوت من أسفل الدرج. وكانت دقات المترونوم قد أصبحت أكثر تردداً ودويا حتى أنها خشيت أن يستيقظ أرنولد بسببها. ثم أقبل صوت غمركيانها برعب بارد، صوت صبي ينشد من مكان ناء:

كيف حالك كيف حالك كيف حالك

يا عزيزي يا عزيزي السيد ملزو

وتهالكت متكئة على مصارعي الباب ثم تشبثت به بذراعها الخالية، وكاد عقلها أن يعصف بها ولكن سرعان ما خفت الصوت وتلاشى، وظلت دقات المترونوم تتعالى. ومع ذلك شعرت ببعض الراحة عندما استمعت إلى صوته يطغى على أي صوت آخروقفت بعض لحظات تشد أزر نفسها. ثم شددت قبضتها على المصباح، وسارت في بطء على طول الرواق. وعندما اقتربت من قمة الدرج أحاطت أنبوبة الضوء الصغيرة للمصباح بيدها الأخرى حتى لا يراها من يكون هناك تحت. ونزلت الدرج في حذر خشية أن يصر فيكشف وجودها.

لم يكن هناك أحد بالبهو، بيد أنها سمعت صوتاً مقبلاً من المكتبة. ودفعت الباب في هدوء فانفتح، إذا بدقات المترونوم تبعث وتكتنفها وتغمرها. ولم تستطيع أن تميز ما في الحجرة إلا بعد أن تقدمت بضع خطوات. وإذا بعينيها تلتقيان بشبح صغير مبهم جاثم بجوار الحائط أمامها. ثم أخذ ذلك الشيء يحوم ويحدق في الرياش ويتطلع إلى أرفف الكتب. واستمعت إلى حركة يدين خفيتين تعبثان في الأركان - أنه جيمي يبحث عن مترونومه.

وظلت دون حراك وقد تهدجت أنفاسها رعباً من رؤية جيمي الميت، جيمي الذي شاهدته يدفن في ذلك الصباح. ولم ينحها عن السقوط في حالة من الإغماء سوى قوة إرادتها.

وأقبل طيف الطفل. أقبل صوبها؛ ثم مر خلالها؛ يبحث، وينقب، في كل ركن يحتمل أن يكون المترونوم مختبئاً فيه وظل يدور حولها. وفي مجهود فائق وجدت صوتها، فهمست في صوت أجش: اذهب، أواه، اذهب بيد أن. الطفل لم يبد أن سمع كلماتها، فقد ظل يوالي بحثه ويطوف في نفس الأنحاء التي كان قد طرقها من قبل عدة مرات. كانت الدقات اللحوحة للمترونوم لا تزال ترتفع وكأنها طرقات المطرقة تتجاوب في أرجاء الحجرة وانزلقت يدها في عصبة مبتعدة عن أنبوبة للضوء عندما مر الطفل بجوارها فشاهدت وجهه، وعينيه تفيضان شرا، وقد فارقتها وداعتهما السابقة، وفمه الغاضب ويديه المنقبضتين.

وفي رعب جارف، استدارت لتفر منه، بيد أن الباب استعصى عليها فتحه، وبعد ثلاث محاولات فاشلة، جعلت تبحث عن شيء يساعدها على فتحه. كان الطفل بجوارها وقد أرتكن بيده في خفة على الباب. وكانت لمسته كافية لجعله لا ينفتح، ثم حاولت مرة أخرى، وتحرك المقبض في يدها كما تحرك من قبل دون أن ينفتح الباب. وكان الطفل لا يزال واقفاً هناك أمامها، ثم حاولت فتح النافذة، فدفعت قفلها بيدها الخالية فلم يتحرك، وشعرت، حتى

قبل أن تنظر، أن يد الطفل مستقرة على النافذة يداً شفافة ذات بياض شاحب وقد انحنت قليلاً على زجاج النافذة.

ووجدت نفس النتيجة في نافذة الحجرة الأخرى. وعندما حاولت أن ترفع يدها لتكسر الزجاج لاحظت أن الطفل قد وقف أمامها، فلم تستطيع يدها اختراق الهواء إلى الزجاج وأخيراً استدارت وانسحبت إلى الركن المظلم الواقع خلف البيانو وهي تعول في رعب وفي لحظة كان الطفل بجوارها. وشعرت به يشيع برداً قارساً مخيفاً اخترق ردائها الليل الرفيع.

وأجهشت بالبكاء وهي تقول اذهب، اذهب، ثم شعرت بوجه الطفل يقترب من وجهها، وبعينيه تبحثان عن عينها، وتتهمانها وبأصابعه الخفية تمتد

لتلمسها. وفي صرخة متوحشة من الرعب انتقلت منه هاربة، وحاولت مرة أخرى فتح الباب إلا أن الطفل كان هناك قبل أن تضع يدها على المقبض. وعرفت دون أن تحركه أن محاولاتها ذاهبة أدراج الرياح. ثم حاولت أن تشعل النور، بيد أنها شعرت بنفس المؤثر الذي منعها من اغتصاب النافذة. ومرة أخرى أخذت تبحث عن ركن مظلم أمين. ولكن الطفل عثر عليها واقترب منها كحيوان يبحث عن الدفء.

وفجأة، انهارت قواها العقلية وتهاوت؛ وشعرت بخوف جارف يغزو عقلها. وأخذت تضرب على الجدران المحيطة بها بقبضتي يديها. ثم وجدت صوتها؛ فصرخت لتتحرر من الرعب الشرير الذي سيطر عليها.

وكان آخر ما شعرت بن أن الطفل يجذبها من وسطها بيديه الخفيتين، ثم سقطت متهالكة بجوار الحائط. وصدمها شيء صدمة قوية في جبهتها. وفي نفس اللحظة كان جسم الطفل اللين ينضغط على وجهها. ثم شملها الظلام.

وفي صباح اليوم التالي وجد أرنولد فار زوجته راقدة بجوار

الحائط على مقربة من البيانو الكبير. فركع بجوارها. ودلته خبرته الكافية في الطب أن زوجته قد اختنقت من شيء رطب، فقد كانت الرطوبة تشمل ملامحها. ولم يفهم سر لرائحة النهر القوية التي كانت تفوح في الحجرة، ثم تطلع إلى فوق فشاهد صورة زيتية كبيرة معلقة فوق الجثة، ولم تكن بالطبع هي التي أحدثت ذلك الجرح في جبهتها.

وعلى حين غرة، شاهد ما جرح زوجه عند سقوطه من خلف الصورة حيث كان مختبئاً، كان المترونوم.

عندما يسخر القدر
أو. هنري

تململ سوبي على مقعده في متنزه ماديسون بقلق واضطراب، ولم يلبث أن انتفض من مضجعه فزعاً مهموماً. فقد اهتزت الشجرة التي تظله وسقطت في حجرة أوراق ذاوية صفراء. وقد دلته التجارب والأيام أن الأوراق الصفراء ما هي إلا نذير الطبيعة الرؤوم لأمثاله من منا كيد الدهر تحذرهم بأن قد آن الأوان ليبحثوا لهم عن مأوى يقيهم قر الشتاء وشآبيب السماء.

واعتقد سوبي رأسه بين يديه وغرق في لجة من التفكير. . إلى أين يذهب، وأي مأوى يختار لفصل الشتاء؟ إنه لا يطمع في القصور المنيفة، ولا يبغي وثير الفراش. . إن كل ما يطلبه وتهفو إليه نفسه غرفة ضيقة حقيرة في سجن الجزيرة يقيم فيها وتعصمه من البرد خلال أشهر الشتاء الثلاثة.

وقد كان سجن الجزيرة هذا مشتي سوبي المفضل لعدة سنوات خلت. . فكان إذا ما قرعت ريح الشتاء أبواب إلى سجن الجزيرة، كما يسعى المترفون إلى اتخاذ الترتيبات للاشتاء في الريفييرا وغيرها. . وها هو ذا الفلك قد أتم دورته وحل الشتاء. وفي الليلة السابقة نخر البرد عظامه رغم ما التف به من صحف وأوراق وهو نائم على المقعد في المتنزه. . وكان بوسعه أن يلتجئ إلى أحد الملاجئ الخيرية الكثيرة في المدينة، حيث يقدم له الطعام والمأوى مجاناً. . إلا أنه كان يفضل ضيافة السلطات القانونية على ضيافة الملاجئ الخيرية، وكانت نفسه الأبية ترى في الاستجداء ضعة وهواناً، فهو إن لم يدفع لمأواه في هذه الملاجئ مالا يدفع له من عزة نفسه ضريبة. . كلا ثم كلا. . أنه لن يستجدي لقمته على حساب كرامته. .

وما كاد يقف عند هذا العزم حتى انقلب يفكر في الوسيلة التي توصله إلى السجن. . وكانت الوسائل كثيرة سهلة، ولكن أفضلها أن يدخل مطعماً من المطاعم الراقية ويتزود بأكلة شهية لرحلته الطويلة إلى الجزيرة، وعندما يفرغ من طعامه ويتأكد أن كل زاوية من الزوايا معدته الخاوية قد سدت وامتلأت، يدعو إليه الخادم وينبئه بخلو جيبه، فيستدعي هذا شرطياً من الخارج دون ما ضجة أو جلبة إلى حيث يمثل أمام القاضي العادل. . .

وللحال غادر سوبي مقعده في المتنزه، وانطلق في شارع طويل عريض يغص بالحركة، حتى وصل إلى مطعم فخم تنبعث منه رائحة تفتح لها شهرة المكظوظين. ووقف سوبي لحظة أمام الواجهة، وأرسل نظراته إلى الداخل متأملاً مفكراً. هاهي ذي مائدة لا تبعد كثيراً عن الباب لا يشغلها أحد. فلو قدر له أن يصلها دون أن ينتبه أحد إلى سرواله المهلهل وحذائه الممزق، لهان الأمر وتحققت الآمال. . فهو حليق الذهن نظيف المعطف، ورباط عنقه أنيق جميل أهدته إليه إحدى المبشرات يوم عيد الشكر. . فإن ما جلس إلى المائدة فلن يظهر منه إلا الجزء الأنيق، ولن يداخل الخادم أدنى شك في أنه سيد محترم. . وعندئذ يطلب منه أطيب المأكولات، ولكن باعتدال، حتى لا يثير غضبة المدير وقت الحساب فينزل عقاباً غير الذي يرغب. . وارتاح سوبي لهذا الخاطر واتجه نحو الباب، ولكنه لم يكد يتخطى العتبة حتى اتجهت عينا رئيس الخدم إلى سرواله وحذائه. . وما هي إلا لحظات حتى تلقفته أيد قوية جبارة أخذت تجره دون ما ضجة إلى أحد الشوارع الجانبية.

وقدر سوبي أن الوصول إلى السجن لن يكون سهلاً كما تصور. ثم انطلق في شارع آخر وهو يعمل الفكر في وسيلة أضمن. وما كاد يسير بضعة أمتار حتى لفت نظره واجهة متجر كبير تشع منها تشع منها الأنوار الباهرة، وقد عرضت فيها شتى الملابس الثمينة. . وللحال التقط حجراً، وقذف به زجاج الواجهة فحطمه. . فتراكض

السابلة يتساءلون عن الخبر، وقدم شرطي من رأس الشارع يهرول مسرعاً. ولكن سوبي لم يتحرك من مكانه، بل وقف جامداً ويداه في جيبه. . وواجه الشرطي بابتسامة عريضة. . وسأله رجل البوليس: من فعل هذا؟ فرد عليه سوبي برزانة وهدوء: أو لا يخامرك شك بأني قد أكون أنا من تسأل عنه؟

ولكن رجل البوليس لم يفكر في ذلك قط، بل لم يشأ أن يتخذ من سوبي شاهداً على ما حدث. . فسارق الواجهات لا يقف مكانه هادئاً ويداعب رجل القانون. . بل يولى بجلده هارباً. . وتلفت الشرطي حوله، فرأى رجلاً يركض مسرعاً للحاق بسيارة، فقبض على هراوته بشدة وانطلق وراءه مهرولاً. . ولوى سوبي شفتيه ازدراء وتابع سيره يائساً خائباً.

وعلى الرصيف المقابل رأى مطعماً من الرجة المتوسطة، شهي الطعام معتدل الكلفة. فلم يتردد لحظة واتجه إليه ودخله دون أن يلفت إليه الأنظار. ولما جاءه الخادم طلب من أطايب المأكولات أصنافاً وألواناً. وعندما انتهى دعا الخادم إليه وقال مبتسماً: إن جيبي يا صاحبي خال، فهيا أسرع واستدع البوليس، ولا تتركني أنتظر طويلاً. . ولكن الخادم قال مزمجراً - وما حاجتي إلى رجال البوليس؟ ثم التفت إلى زميل له قريب وأشار إليه بطرف عينه، فأقبل هذا عليه وأمسك الاثنان بسوبي من كتفيه وجراه حتى الباب ثم قذفا به إلى عرض الرصيف. . وملم سوبي نفسه ونهض. . وعلى مقربة منه رأى شرطياً فعاوده الأمل. . ولكن الشرطي قهقه عالياً وانثنى في طريقة يواصل دورته. .

وواصل سوبي سيرة وقد تملك اليأس نفسه وقوض صروح أحلامه. . وقطع مسافة طويلة دون أن يبرق في ذهنه ما يحيى ميت الآمال. . وعلى حين غرة رأى سيدة فتية ممشوقة القد تقف أمام واجهة مخزن كبير تطوف بعينيها في معروضاته وعلى مسافة قريبة منها ينتصب شرطي طويل تبدو على محياه علامات

القسوة والصرامة. . فخطر ببال سوبي أن يمثل دور أفاق يعاكس السيدات، وشجعه على ذلك مظهر السيدة الأنيق ووجود رجل البوليس، وقدر أنه لن يلبث أن يحس بقبضة رجل القانون تهوى على كتفه وتسوقه إلى مشتاه المحبب في سجن الجزيرة. . وللحال أصلح سوبي رباط عنقه وأمال قبعته فوق أذنه، واتجه نحو السيدة. . ولما اقترب منها أخذ يحملق فيها ويسعل ويتنحنح ويبتسم. ثم نظر بطرف عينه إلى الشرطي فرأى أنه قد انتبه إليه وراح يصليه بنظراته الحادة. وتململت السيدة في وقفتها ولكنها لم تنتقل من مكانها. . فتقدم سوبي منها بجرأة ثم رفع قبعته عن رأسه وقال لها: أهذ أنت يا باديليا؟ هلا جئت لنلعب معاً في ساحتنا؟ وكان رجل البوليس لا يزال يرقبه، وما كان على السيدة إلا أن تشير بإصبعها إليه حتى يكون سوبي في طريقة إلى الجزيرة. ولكن السيدة لم تفعل شيئاً من ذلك، بل ألقت بيدها على كتف سوبي وصاحب جذلة: كم اشتهي ذلك يا عزيزي ما بك. . ثم تأبطت ذراعه وهمست في أذنه: اعذرني إذ لم ألتفت إليك قبل الآن، فقد كان الشرطي يرقبنا عن كثب. وسار سوبي مرغماً إلى جانب صديقته المزعومة ومرا من أمام الشرطي وقد خابت الآمال وفاته حلم الاعتقال. وعندما وصلا إلى منعطف الشارع تملص سوبي من رفيقته وأطلق ساقيه للريح. . ولم يقف إلا عندما وصل ميدانا يغص بالحركة، فسار في الزحمة متأملا مفكراً. وما كادت عيناه تقعان على قبعة شرطي ثالث حتى لمعت في ذهنه حيلة جديدة. فنطلق في اتجاهه يترنح في مشيته كالسكران يضرب بالمارة يميناً وشمالاً ويغني بأعلى صوته أبذأ الأنعام. . وتأمله الشرطي لحظة ثم أدار له ظهره وقال لأحد المارة - هذا أحد المحتفين بحفلة كلية هارتفورد الخيرة، ولدينا تعليمات بأن لا نعترض أمثاله ما داموا لا يؤذون. وسمع سوبي وينصرفون عنه. .؟! وتابع سيرة بعد أن زره سترته ليدرأ عن نفسه برد الليل. . وفي أحد حوانيت التبغ رأى سيداً أنيق الثياب يشعل

سيجاراً وقد ترك مظلته الحريرية الثمينة بالقرب من الباب. . فلم يتردد سوبي ودخل المخزن وأخذ المظلة وعاد إلى الشارع ببطيء وهدوء، ورآه السيد وتبعه مسرعاً وهو يقول - هذه مظلتي. . هذه مظلتي. . فرد عليه سوبي بازدراء - أحقاً؟ إذا كانت فعلاً مظلتك فلم لا تدعو البوليس؟ لقد سرقتها. . أليس كذلك؟ هيا إذن واستدع البوليس. . . وها هو أحدهم يقف هناك عند المنعطف. . وخفف صاحب المظلة من سرعته وكذلك فعل سوبي مخافة أن يتراجع السيد وتفوته الفرصة. وراقب البوليس ما يجري باهتمام. . وقال السيد - عفواً، عفواً، فكثيراً ما يحدث هذا الالتباس، وإني لأعتذر عما بدر مني إذا كانت هذه مظلتك فقد أخذتها اليوم خطأ من أحد المطاعم وأنا أحسبها مظلتي، فإذا عرفت فيها مظلتك فأرجو. . . فقاطعه سوبي بحدة: طبعاً إنها مظلتي. . . وعاد صاحب المظلة أدراجه، وانصرف اهتمام الشرطي إلى مساعدة سيدة تقطع الشارع من رصيف إلى رصيف واتجه سوبي جهة الشرق وطرق شارعاً خرباً. . . ثم قذف بالمظلة إلى إحدى الحفر بغضب وثورة وهو ينزل اللعنات على رؤوس رجال البوليس الأغبياء. ووصل أخيراً إلى شارع يخف فيه الضجيج وتقل الحركة، واتجه دون ما شعور صوب متنزه ماديسون. وعند منعطف انعدمت فيه الحركة وانقطعت السابلة توقف سوبي عن السيروثبت في مكانه وقد عقل منه القدم والقلب معاً. . فعلى بعد خطوات قليلة منه رأى كنيسة عتيقة تآكلت حجارتها وتفتتت ومن زجاج نوافذها الملون ينبعث شبه ضوء أرجواني يحمل على أمواجه أنغام أرغن ناعمة شجية، نفذت إلى أعماق روحه وملكت عليه لبه. . وكان البدريخطر في كبد السماء باسطا على الكون ستراً من لجين، والطير المستجم على الشجر يزقزق في أمن وهدوء. . . فكان لهذا المشهد الطبيعي وذاك النغم الهادئ في نفس سوبي فعل السحر، فوقف وقفة المتعبد الضارع في هيكل الخشوع. وترك رأسه يسقط على صدره وأرخى

لفكرة العنان. . إنه ليذكر هذا اللحن السحري ويعرفه تماماً . لطالما ترنم به ورددده يوم كانت حياته هنيئة رخية يظللها عطف الأب وحنان الأم. ويجملها أنس الصحب والرفاق ولذة الأمل والرجاء. آه ما كان أحلاها من أيام. . لقد صدق من قال: إن الدهر مداج ذميم يستل الشقاء من ضلع الهناء. ولكن لم ألوم الدهروأنا الملوم أولاً وآخر؟ لقد أبيت الهدى والإرشاد، وركبت رأسي وسرت وفق هواي تاركاً خطاي حرة مسترسلة في دروب المعاصي والآثام، حتى استقر بي المطاف على مقعد في أحد المنتزهات. . ودفن سوبي وجهه بين راحتيه كأنما يحجب عن عينيه صور ماضيه البغيض. . ولم يلبث أن أشرق في ذهنه خاطر جميل، وشعت في ظلمات نفسه بوادر أمل. . لم لا يصلح حاله ويبدأ حياته من جديد. . إنه مازال في ربيع شبابه وكامل قوته. . فليجند قواه الفتية ويشنها حربا عاتية على قوى الشر والخمول. نعم! سينزل إلى الميدان، ويزاحم بمنكبيه، ويقرع أبواب العمل بقبضتيه حتى تستجيب له. إنه يذكر أن مستورداً للغراء كان قد عرض عليه يوماً أن يعمل عنده سائقا، فأبي ترفعاً. . . سيذهب إليه في الغد ويعمل عنده بأي أجر، حتى يجعل من نفسه شخصاً جديراً بالفخر.

وضاء وجه سوبي لهذا الخاطروافترثغره عن ابتسامة مشرقة. . ولكنه سرعان ما انكمش في نفسه وغاض البشر من محياه، عندما هبطت على كتفه قبضة ثقيلة. فالتفت وراءه ليرى شرطياً يتأمله. وسأله الشرطي:

- ماذا تعمل هنا في هذه الساعة المتأخرة من الليل؟

- فقال سوبي: لا شيء

- إذن فهيا معي إلى قسم البوليس. .

وفي اليوم التالي أصدر القاضي حكمه عليه بالسجن ثلاثة أشهر في سجن الجزيرة.

اللص الشريف
ستيفن ليكوك

- سأقص عليكم أيها السيدات والسادة قصتي، ولكم الخيار أن تصدقوا أو لا تصدقوا ما حدث لي. أما أنا فما علي إلا أن أروي الحادثة بدون زيادة ولا نقصان فأعيروني أسماعكم بضع دقائق.

في صباح أحد أيام الأسبوع وقع نظري على شاب وسيم الطلعة، واقفا أمام شباك التذاكر في إحدى دور السينما، فقلت في نفسي - لقد سبق أن رأيت هذا الشاب مرات واقفا أمام شباك التذاكر، فمن المحتمل أن يكون هناك سرا. ولم يخب ظني - ففي لمحة البصر مد الشاب يده إلى جيب جاره وأخرجها بخفة وبها محفظة نقوده، وبكل هدوء وسرعة دسها في جيبه وسار بخطى متئدة بعيدا عن شباك التذاكر خشية أن يراه أحد.

وكنت لما أزل طالبا أدرس العلوم الجنائية، فأنا لست من رجال الشرطة ولم تكن مهمتي مراقبة اللصوص ومطاردتهم، وقد سبق لي أن كتبت مقالة عن العلوم الجنائية وقد حازت إعجاب كل من قرأها. ولم يسبق لي أن تفهمت أو درست عقلية اللصوص النشالين أو شاهدتهم يسرقون، ولأول مرة أرى فيها هذا اللص يمارس مهنته في مثل هذا المكان، ففكرت في الأمر عاجلا وقلت في نفسي - هل أترك الفرصة تمر بدون أن أستفيد منها؟ فلماذا لا أتتبع خطوات هذا اللص وأقف على حقيقة أمره - والدافع الذي يدفعه لارتكاب مثل هذه الأعمال. فلحقت بالشاب الذي نشل المحفظة من جيب جاره ورأيته داخلا صالات الرقص فتبعته مقتفيا أثره، ثم دنوت منه وابتدرته قائلا - هل لي أن أجالسك؟ ولا يريبك أمري، فأنا لست من رجال الشرطة ولا ممن يودون مشاركتك في غنيمتك، فلا تقلق

ولا تضطرب فكل ما هنالك أنني طالب يدرس العلوم الجنائية وكاتب صحفي مبتدئ، وقد لمحتك منذ فترة من الزمن قد مددت يدك إلى جيب جارك وأخرجتها بحافظة نقوده، وانسللت بخطى بطيئة. وتبعتك إلى أن دخلت هنا فلا تخف شيئا من أمرك عني، فهل لنا أن نتحدث بضع دقائق؟

فابتسم الشاب ولم يضطرب ولم يرتب، وأجابني قائلا - إنني أعرف أنك لست من رجال الشرطة، ومن الواجب علي أن أخبرك بأنني أنا أيضا لست من اللصوص المجرمين، ولكن لي رجاء أرجو أن تسمح لي بأن نواصل حديثنا في مكان يفضل هذا المكان. فأجبته بالقبول، وخرجنا من الصالة وقد تأبط الشاب ذراعي كأن صداقتنا وطيدة منذ زمن وبدون كلفة وسرنا معا في طريق مؤدية إلى سوق عمومية تزدحم فيه عربات الخضاروالمشروبات المنعشة وتكثر فيه بائعات اللبن وهنا أشار الشاب إلى امرأة عجوز ممن جلسن وراء عربة لبيع اللبن وفي يدها وعاء فارغ انهمكت في تنظيفه بعد أن أفرغته لأحد المشترين.

فسألته - هل عزمت على سرقة هذه العجوز المسكينة؟

فابتسم ولم يجب - ولكنه تركني واتجه نحوها وألقى في وعاء اللبن الفارغ المحفظة التي سرقها عند شباك بيع تذاكر السينما، وعاد إلي متأبطا ذراعي وتابعنا مسيرنا من جديد. وابتدرني قائلا - أظنك أدركت الآن ما هي رسالتي التي اؤديها؟ وحسبي أنك فهمت ما هو العمل الذي أسعى من أجله؟ - أنني من محبي حفظ التوازن بين حظوظ الناس وثرواتهم - فكل ما ابغي أنني أساعد المساكين الفقراء! فها أنا أسرق من الأغنياء وأعطى الفقراء، آخذ من ذلك المترف الغني محفظة نقوده وألقيها في وعاء لبن هذه المرأة العجوز المسكينة المحرومة من نعم الدنيا، فها هي الحكومات تتقاضى الضرائب والرسوم من الأثرياء وأصحاب العقارات والدخل السنوي لتنفقه على المعدمين الفقراء، فأنا أساعد الحكومة بقدر

أستطاعتي، وثق أنني أفعل هذا بالرغم مني مدفوعا بدافع غريزي لا أستطيع مقاومته، وقد دأبت على فعله منذ نعومة أظفاري. . . ولكن هيا بنا لنذهب لبيتي حيث أطلعك على السر كله - هل تحب؟ فأجبته بكل سرور - فقال إنك سترى على باب بيتي اسما محفورا على لوحة نحاسية (بيت شريف) وقد يحملك هذا الاسم على التفكير، فلا داعي إذن للتفكير فهو اسم والدي عن جدي - إن أجدادي كلهم كانوا يحترفون العمل الذي أحترفه اليوم. سنجد باب الدار مقفلا، وقد تكون مريم خرجت لزيارة إحدى صديقاتها. وفعلا وجدنا الباب مقفلا ولكنه قال لي سندخل من باب المطبخ - تعال معي - فدخلنا ودعانا الشاب للجلوس فجلست؛ وفاجأني قائلا: - هل تعرف اسمي؟ اسمي شريف قد ورثته عن أبي الذي ورثه جدي. فقلت اسمك شريف؟ فهذه مصادفة جمعت بين اسمك وعملك - فعملك اللصوصية والسرقة واسمك شريف، فأنب إذن لص شريف؟ واسم المرأة أمك أو زوجتك مريم كل هذا. . . فقاطني قائلا - اعلم أنني سليل بيت عريق لم تقدر البشرية حسناته نحوها. واعلم انك أصبت بأنني (لص شريف) وستخلد الأيام اسمي كما اخلد ذكرى والدي وجدي العظيم. سترى صورته هنا في القاعة المجاورة وسترى مدى الشبه بيني وبينه، وإذا كنت أميل إلى الأخذ من الأغنياء لأعطي الفقراء - وهو ما كان يفعله جدي ووالدي - فإن أخوتي جميعا يميلون لمثل هذا العمل أيضا - إننا لصوص شرفاء أباً عن جد - ونحن مازلنا نواصل تأدية رسالة الجد الكبر؛ فنقوم المعوج، ونعدل ميزان المساواة في الثروة بين الناس. ولكن انتظرني قليلا فسآتيك بصورته.؟

خرج الشاب وتركني في القاعة - وما هي إلا بضع دقائق حتى سمعت حركة خفيفة عند الباب وإذا بسيدة لا اعرفها تدخل القاعة. فدهشت المرأة عندما رأتني وداخلها بعض الريب والخوف - فهدأت من روعها قائلا - لا تخشى من شيْ يا سيدتي مريم فأنا

صديق أسرتك. . . جئت مع شريف إلى هنا منذ زمن قصير؟ فتمتمت السيدة بصوت خافت - شريف - أحد أفراد أسرتنا؟ فقلت - نعم شريف - زوجك أو ابنك لا ادري؟

- زوجي - ابني؟

- فقلت - هاهو في الغرفة المجاورة ذهب ليأتني بصورة جده شريف

- جده شريف!

فقالت - يا سيدي أنا لا أفهم شيئا مما تقول؛ فأنا غريبة عن هذا البيت ولست من سكانه. وزوجي ليس اسمه شريف ولا أنا اسمي مريم! أظنك مخطئ - قالت هذا وتراجعت للباب مذعورة فاستوقفتها - وقلت لها - بيت من هذا أذن يا سيدتي؟ قالت: هذا البيت للإيجار - جئت لأستأجره! ولكن من تكون أنت إذا لم تكن صاحب البيت ولا تعرف صاحبه؟

فخطر لي خاطر وقلت أنا يا سيدتي مستأجر مثلك جئت لأستأجر هذا البيت.

قالت - آه فهمت الآن؟

قلت - وأنا أيضا فهمت يا سيدتي! أستودعك الله. قلت هذا وخرجت مسرعا - إذن كل ما قاله الشاب كان سلسلة من الأكاذيب. البيت والأب والجد والأسرة والحرفة الشريفة، والأخذ من هذا وإعطاء ذاك. . . انه لص ولكنه غير شريف. . ووضعت يدي في جيبي فإذا بمحفظة نقودي قد اختفت. لقد سرقني اللص الشريف كما سرق غيري من قبل. وأسرعت راكضا نحو مركز الشرطة، وإذا بي المحه عن بعد. . لمحت الشاب وهو يركب سيارة ومعه امرأة لم تكن غير بائعة اللبن العجوز التي ألقى المحفظة في وعائها وهي تنظفه. وابتعدت السيارة ووقفت حائرا أتكون - المرأة شريكته في السرقة؟

لقد فهمت الآن كل شيء ورحت ضحية هذا اللص الشريف الذي عرف كيف يضحك مني ويضللني. هل أذهب إلى مركز الشرطة

وأقص قصتي واطلب البحث عن الجاني؟ ولكن ما الفائدة؟ سيضحكون مما حدث لي - فخير لي أن اسكت وأن أواصل الدرس والبحث لأنني لا أزال مبتدئا في أدراك حيل اللصوص والنشالين الأذكياء. وعدت إلى بيتي مشيا على القدمين وأنا أفكر في خطة لإيقاع هذا اللص الشريف!

الطفل. .
ف. باركوس

طرقت السكرتيرة الحسناء باب المكتب وقالت تخاطب المستر مارتان مدير الشركة. .

- بالباب سيدة تود - في إلحاح - مقابلتك

فرفع وجهه عن الأوراق المتراكمة أمامه وقال في صوت أجش تبدو فيه الصرامة والغلظة. .

- تود في إلحاح مقابلتي؟

- أجل وقد أبديت لها العذر في أن لديك أعمالا هامة تشغل كل وقتك. . وأنه يجب لكي تقابلك أن يكون هناك موعد سابق محدد. بيد أنها لم تزد إلا إصرارا وإلحافا.

وأخبرتني أنها آتية من بعيد وليس في استطاعتها أن ترجع مرة أخرى. .

فضرب مارتان بيده على المكتب في غضب وقال:

كان في مقدورك أن ترغمها على الانصراف بشيء من اللباقة

فأجابت السكرتيرة في عناد.

- لقد حاوت فلم أوفق فهي شديدة الرغبة في أن تقابلك. .

وإنه ليبدولي من خلال صوتها أنها تستحق الشفقة والعطف. .

فقال مرتان هازئا:

- امرأة تدافع عن امرأة. . آه لو أن سكرتيري كان رجلا لعرف الآن كيف يحملها على الانصراف. وعلى أي حال. . هل أخبرتك عن اسمها؟

- لقد رفضت أن تذكره لي. .

- أئتيني بها. . وليكن ما يكون

وبعد برهة. . كانت تقف على عتبة الباب امرأة في العقد الثالث من عمرها. وقد رانت على معالم وجهها مسحة من الصمت الجامد وتنطق مشيتها بالكبرياء والاعتزاز.

وبعد أن أغلقت السكرتيرة الباب. . رفع مارتان وجهه عن الأوراق مرة أخرى. . وأخذ يتأمل وجه الزائرة خلال منظاره المكبر. . برهة. . ثم بدا عليه أنه يعرفها فقد رفع حاجبيه في شيء من الدهشة وقال: (روث. .؟

بيد أن الدهشة التي صاحبته كانت تدل على أنه غير مرتاح إلى لقائها. . وانفرجت شفتا روث عن ابتسامة رقيقة وقالت:

- أجل، - أنا - روث

- لقد انقضى أمد طويل منذ التقينا لآخر مرة. . سنوات كثيرة. . سبع على ما أذكر. .

فأجابت في صوت هادئ وكأنها تحاول ألا تستعيد تلك الذكريات:

- نعم. . سبع سنوات كاملة. .

- لقد أسعدني لقاؤك كثيرا. . . ولكن. . كيف حالك اليوم أنت. و. . روي.؟

فصمتت وقتا. . ثم قالت:

- لقد كان الحال على ما يرام. . ولقد منحنا القدر طفلا جميلا. . غير أن روي يعاني مرضا شديدا. . وقد أشار عليه الطبيب بأن يرحل إلى الخارج. فيقضي عاما لا يزاول فيه عملا من الأعمال. . ليتسى له استعادة صحته - وإلا. . .

وكفت روث عن الحديث فسألها مارتان في تحفز:

- وإلا ماذا؟

- وإلا كان مآله القبر

- فقال مارتان متسائلا:

- وطبعا أطاع روي استشارة الطبيب واعتزم السفر. .

- كلا!

- ولماذا؟

- إن السفر يتطلب نفقات. . وليس لدينا مال. . ولذلك زرتك اليوم أطلب منك أن ترد إلى روي الألفي جنيه اللتين سرقتهما منه. . منذ سبع سنوات. .

وكان صوتها جافا قاسيا. . فقال مارتان ثائرا:

- يا لك من حمقاء! كيف تجرئين على توجيه هذه الإهانة إليّ؟

ولكن روث لم تتحرك من مقعدها. . وإنما قالت في هدوء)

- إهانة! هل تنكر أنك سرقته.؟

فكظم مارتان غيظه. . وقال:

- إن سلوكك هذا يدهشني. . لا شك أنك تعرفين أن زوجك قد استثمر آلفي جنيه في الشركة. فإذا أفلست الشركة. . وأخفقت الأعمال. . أتيت هنا ترمينني بالتهم. . وتزعمين أنني سرقت أموال زوجك.

- ولكنك يا صاحبي لا تجهل أن الشركة كانت على شفا الإفلاس. بل كانت مفلسة فعلا. . في الوقت الذي ساهم زوجي فيها. . والأدهى من ذلك أنك دعوته إلى المساهمة وأنت مديرها. . وعالم بحالها. والذي آسف له أنك لم تكتف بذلك. . بل ضاعفت من مرتبك ونفقاتك. . فلما أفلست الشركة. . غادرت البلدة. . واختفيت. خبرني. . في أي شريعة يحق لمدير شركة مفلسة أن يضاعف مرتبه ونفقاته. . وأنت الذي حرضتني على أن أدفع بزوجي ليشترك وإياك في الشركة المزعومة. .

فقال مارتان في دهاء:

- إذن كان لك عليه نفوذ كبير. .

- بلا شك. . إنني لا أجهل ما ترمي إليه من وراء هذا السؤال. . لقد كنت تعتقد يا مارتان أنني أعشقك ولكن الحقيقة أنها كانت أيام نزق وطيش. . ولو لم أكن طائشة لما اشتركت في تدبير المؤامرة

التي سلبت بها زوجي ألفي جنيه. . والآن. أتريد أن تعيد إليّ ذلك المال.؟

- كلا بالطبع. . فإن الخسارة قد لحقتني كما لحقت زوجك. . بإفلاس الشركة. .

- هذا بهتان. .

فنهض مارتان واقفا وقال في ثورة جائحة:

- اغربي عن وجهي أيتها الماكرة. . إن هذه الإهانات لا أحتملها منك. . غادري مكتبي حالا. .

- حسنا. . سأغادر مكتبك الآن. . ولكن أرجو أن تفسح لي صدرك لأصارحك بشيء قبل أن أغرب عن وجهك يا مستر مارتان. إن الشيء الوحيد الذي يقض مضجع روي هو أن صحته تحول بينه وبين إعانتنا على السير في ركب الحياة. أي لا تمكنه من أن يعولنا. . أنا وابني. . وهو دائما شديد القلق علينا. . ولك الذي أخشاه أن يدفعه اليأس إلى التخلص من تلك الحياة. . ولكن الذي عزمت عليه هو أنني إذا عدت إلى البيت سأحدثه بشيء يصرفه عن الاهتمام بأمرينا. .

فقال مارتان يسألها:

- أفصحي فإن في كلامك غموضا

هذا الشيء الذي سأدلي به إلى زوجي. . هو أن الطفل الذي يظنه ابنه ليس في الواقع إلا ابنك أنت. وحين سمع مارتان هذه الكلمات امتقع وجهه. . وامتدت عليه ظلال من الأحاسيس والانفعالات. . واستطردت روث تقول:

- ماذا حدث يا عزيزي مارتان؟ إنني أراك شديد الاضطراب. . منذ سبع سنوات. . عقب ساعات الطيش التي عشنا فيها معا. . وعقب سلبك زوجي الألفي جنيه. . خرجت من المدينة. . والآن بعد شهور قليلة سيبلغ الطفل سبع سنوات. . فهل أدركت أنه ولدك؟

فأجابها مارتان في حدة:

إني لا أصدق حرفا مما تقولين. .

فهزت روث كتفيها بلا اكتراث وقالت:

- إن هذا لا يضيرني. . تصدق أو لا تصدق. . ولكن. . ثق تماما أن زوجي سيصدق هذا القول وسوف لا ينكر منه شيئا. . فليس من المعقول أن تعترف زوجة لزوجها زورا بأنها عبثت بشرفه وأن من يظنه ابنه ليس إلا ابن عشيقها. . ثم إن الطفل شديد الشبه بك. وسأدل روي على مواضع الشبه بينكما. . وعندئذ سيعرف قطعا صدق حديثي

فقال مراتان محاولا أن يصرفها عن هذا الرأي:

- ولكنك بهذا سوف تثيرين حول نفسك الشبهات. . وستقضين على نفسك وعلى سمعتك

- نفسي وسمعتي؟. . ليكن!. لقد لوثت شرف روي. . وبددت أمواله وأغريته على أن يلقي بها إلى السارق. . والآن. . أرى صحته تتقهقر. . وأصبح مفلسا. . فهل تظن أن قيمة الدنيا ستأخذ حيزا من تفكيري بعد هذا؟. . أنه ليحزنني أن أراه دائم القلق والاضطراب لا يفكر في شيء سوى مصيري ومصير الطفل الذي هو طفلك. . ولا شك أنه حين يقف على حقيقة الأمر. . سوف لا يهتم بأمرينا. . نعم سيكرهني. . سيمقت الزوجة التي عبثت بشرفه. . وكذلك الطفل. . حين يدرك أنه ثمرة السفاح. .

وقال مارتان صائحا:

- يخيل إليّ أنك جننت. .

- جننت. .! لست على أي حال أعير قولك اهتماما. . لقد كان روي شهما وكريما معي. .

- إن زوجك مريض. . وفي أزمة مالية. . فهل تريدين أن تزيدي من همومه. . وتثقلي من آلامه بإفضائك إليه ذلك السر الخطير؟

- لقد قررت فيما بيني وبين نفسي الإدلاء إليه بهذه الحقيقة

فقال مارتان متهكما:

- يا لك من زوجة مخلصة. .! زوج متقاعد مريض. . فتأتي زوجته الوفية المشفقة فتضاعف أحزانه وهمومه!

- تهكم ما شئت. . فإنني على يقين من أن روي لا يألم من أجل نفسه. . وإنما يألم من أجلي أنا والطفل. . وأن الذي أنشده من وراء هذا التصريح. . هو هدوء ضميره. . وذلك هو السبيل الوحيد لإنقاذه. .

- السبيل الوحيد. . كيف؟؟

- أجل. . لقد أمن روي على حياته لقاء مبلغ كبير. . ولقد لاحظت عليه في الأيام الأخيرة اهتمامه في البحث عن مستندات التأمين. . وقرأت ما يجول في عينيه. . وإني لا أستبعد أنه ينوي الانتحار. .

فقال مارتان منفعلا:

- ولكن ألا تدركين يا حمقاء. . أن وقوفه على السر سيدفعه إلى التخلص مني لا محالة.؟

فقهقهت روث قهقهة صاخبة وقالت:

- وماذا يهمني من أمرك إذا هو قتلك.؟ إنني لم أعد أحفل بك أو أحبك

وجلس مارتان إلى مكتبه وتناول دفتر الشيكات وهو يتمتم:

- ولكنني لا أود أن أموت. .

وكتب لها شيكا بألفي جنيه. . وأخذته روث. . وانصرفت وفي طريقها قالت تحدث نفسها:

- يا له من غبي أبله! لقد خدعته وقلت له إن الطفل ابنه وإنه يبلغ من العمر سبع سنوات. . ولن أنه أدرك الآن أن ابني الوحيد الذي رزقته عمره عام واحد لطار صوابه. . .

الفهرس

قيصر.....بول بورك.....ص19

آل بونتي.. ستيفن فنسنت بنيت.....ص27

دوامة الحياة..ا. هنري.....ص35

نهاية الطريق....نيو بولد نوبز.....ص43

هدية عيد الميلاد. . .برت هارت.....ص49

القلب الواشي.....إدجار ألان بو.....ص57

الأقدار.....ن. هاوتورن.....ص63

المترونوم...اوغست درلث.....ص69

عندما يسخر القدر..أو. هنري.....ص77

اللص الشريف....ستيفن ليكوك.....ص83

الطفل. .ف. باركوس.....ص89